

الثبت في قبول الروايات وروايتها في رسالة السماء

د. عزيزة طه

تمهيد:

إن الثبوت في قبول الأخبار ثم روايتها والتدقيق في تناقلها والتحفظ في ذلك يعتبر من الصفات الحميدة، التي ينبغي أن يتحلّى بها أرباب العقول السليمة، والنفوس النزيهة، وأصحاب الجد في أمور دينهم ودنياهم.

ومما يدل على ذلك ما حدث من تشويه وتحريف في عقائد الأمم السابقة، والتي لم يتحل علماءها بفضيلة الصدق والثبوت في رواية تراثهم الديني - كما هو معروف - فكان ذلك كارثة عليهم.

أما في أمور الدنيا فإن مروجي الإشاعات والأباطيل غالباً ما يفقدون ثقة الناس في حديثهم وفي نزاهتهم، وقد يفقدون فرصهم في الكسب والعيش الهنيء. كما أن المجتمع الذي تنتشر فيه الإشاعات يفقد استقراره النفسي، وتسوء أخلاق أفرادها، وتنتشر بينهم الشكوك والظنون والافتقار إلى الثقة في التعامل بين الأفراد والجماعات ويفقد المجتمع كذلك الاطمئنان النفسي والهدوء والاستقرار الذي يساعد على زيادة الإنتاج وتحقيق الرفاهية والتقدم للمجتمع.

نلاحظ أن هذه الآفات قد انتشرت في زماننا هذا بما يصل إلى حجم الكارثة، بل أصبح الناس عالمهم وجاهلهم يستهينون في تناقل الأخبار غير الموثقة، حتى إن وكالات الأنباء والصحف والإذاعات وغيرها في هذا الشأن قد أصبحت أدوات متخصصة في ترويع الشائعات، وترويع الأمنين، واختلاق الأكاذيب التي يمكن أن تؤذي السلام العالمي وتهدد مستقبل البشرية بالفناء.

فما أحوجنا نحن المسلمين إلى وقفة متأملة حول هذا الموضوع الحيوي لما في ديننا الحنيف من تشريع محكم في هذا الشأن، جاء به كتاب الله وسنة رسوله الكريم، بل وتطبيق تجلّى في تدوين القرآن الكريم بين يدي النبي ﷺ، وتناقله بين الناس عن طريق التلقين متواتراً عن النبي ﷺ، كما تلقاه عن جبريل عليه السلام عن الله سبحانه وتعالى. ويتجلّى ذلك أيضاً في حرص المسلمين على التثبت في نقل الأخبار المروية عن النبي ﷺ وتداولها بينهم بعد تمحيصها ثم تدوينها وتصنيفها في درجات تتراوح بين الأخبار الصحيحة والحسنة والضعيفة ثم الموضوعة، مما حفظ على الإسلام عقائده وشرائعه نقية لا تشوبها شائبة، كما جاءت عن الحق سبحانه وتعالى، وكما ترجمت في سنة رسول الله ﷺ.

وبالمقابل نجد أن الأديان والشرائع السماوية قبل رسالة محمد ﷺ قد وقعت ضحية للشائعات والكذب والتضليل، وضحية لعدم التثبت في قبول الأخبار التي تستند إلى الحس، بل وعدم التدقيق كذلك عند رواية تلك الأخبار وتناقلها، مما أدى إلى ضياع معظم هذه الأديان وتحريفها، والتباس الحق بالباطل في معظم ما يتصل بها من تشريعات وعقائد.

إن عدم التثبت في رواية الأخبار التي تتصل بالعقائد قد بدل دين التوحيد الذي دعا إليه سيدنا إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام وحوله إلى مزيج من الخرافات والأباطيل التي لا تقوم على سند أو دليل يقبله عقل سليم أو منطق.

كما انبنت مؤسسات ذات حول وطول حول هذه الأكاذيب، مثل كنائس النصارى التي انبنت لها مصالح دنيوية قاهرة لا تستطيع أن تتخلى عنها، لا سيما وأنها قد استقطبت حولها أعداداً هائلة من البشر الذين يعملون في خدمة هذه الأباطيل والترويج لها ونشرها بين الناس فيما يسمى بالتبشير أو التنصير.

وسوف أتناول في هذا البحث موضوع التثبت في قبول الأخبار وروايتها في رسالات السماء من الوجوه الآتية:

أولاً: في معنى التثبت وأهميته.

ثانياً: مدى التثبت في قبول الأخبار وروايتها عند اليهود، ويشمل:

- ١ - أصل التوراة كما يراها اليهود.
- ٢ - أحبار اليهود وأثرهم في تحريف التوراة.

٣ - عدم تحمل أحبار اليهود للتوراة، وأثر ذلك على الملة اليهودية.

٤ - أثر البيئة الاجتماعية في تحريف التوراة.

٥ - أصل التوراة في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

ثالثا: مدى التثبت في قبول الأخبار وروايتها عند النصارى، ويشمل:

١ - أصل الإنجيل كما يراه النصارى.

٢ - رهبان النصارى وأثرهم في تحريف الإنجيل.

٣ - عدم تحمل رهبان النصارى للإنجيل، وأثر ذلك على الملة المسيحية.

٤ - أثر البيئة الاجتماعية في تحريف الإنجيل.

٥ - أصل الإنجيل في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

رابعا: التثبت في قبول الأخبار وروايتها عند المسلمين، ويشمل:

١ - أصل القرآن الكريم والسنة الشريفة.

٢ - تثبت علماء المسلمين في حفظ وتدوين القرآن الكريم والسنة الشريفة.

٣ - التدقيق في صيانة القرآن والسنة، وأثره في ازدهار العلوم الدينية

والدنيوية.

٤ - أثر القرآن والسنة في تكوين الأمة الإسلامية.

خامسا : التلخيص والخاتمة

أولا : معنى الثبوت وأهميته

١ - معنى الثبوت :

يقال : « ثبت في الأمر والرأي واستثبت . ومعناه : تأنى فيه ولم يعجل ، واستثبت في أمر : إذا تشاور وفحص ^(١) ، كما جاء في قوله عز وجل : (وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنْفُسِهِمْ) ^(٢) .

وقال تعالى : (وَكَلَّا نَقْصُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ) ^(٣) . إن تثبيت الفؤاد وتسكين القلب هنا ليس للشك ، ولكن كلما كان البرهان والدلائل أكثر على القلب كان القلب أسكن وأثبت أبدا . كما قال إبراهيم الخليل عليه السلام : (وَلَكِنْ لِّمَطْعَيْنَ قَلْبِي) ^(٤) .

ويقال : لا أحكم بكذا إلا بتثبيت ، أي بحجة ، وفي حديث صوم يوم الشك : ثم جاء الثبوت أنه من رمضان ، والثبت - بالتحريك - : الحجة والبينة . وثابته وأثبتته عرفه حق المعرفة . . . وأثبت حجته : أقامها وأوضحها ، وقول ثابت : صحيح ^(٥) .

٢ - أهمية الثبوت :

إن الثبوت في قبول الأخبار ونقلها يؤدي إلى حماية الأخبار من تقول المتقولين وعبث العابثين ، ويبقى الخبر عبر العصور نقيا صافيا كما جاء به قائله ، مما يهيء للأجيال معرفة الأخبار ، وأفكار قائلها ، والتعمق في ذلك . كما أن نقل الأخبار الصحيحة يساعد الباحث الذي يريد أن يستجلي ما أبهم من التراث الغابر ، مما يعينه على أن يتعمق في فهم هذا التراث ، وأن يفعل ذلك في سهولة ويسر .

-
- (١) لسان العرب ٢ : ٣٢٣ ، ٣٢٤
(٢) سورة البقرة : آية ٢٦٥ قال ابن كثير : « وتثبيتاً من أنفسهم : أي وهم متحققون ومثبتون أن الله سيجزيهم على ذلك أوفر الجزاء انظر تفسير ابن كثير ٢٣٩/١
(٣) سورة هود آية ١٢٠
(٤) سورة البقرة : آية ٢٦٠
(٥) لسان العرب ٢/٣٢٤

وبما أن سلامة النص من ناحية العقل والنقل تعد من أهم الأشياء التي تؤدي إلى الاطمئنان إلى سلامة النص المنقول، لذلك يتجه علماء التاريخ والاجتماع والأديان وغيرهم في العصر الحديث عند محاولة فهمهم التراث الغابر إلى المخطوطات والآثار القديمة، باعتبار أنها المصادر الرئيسة للأثر الذي يبحثون عنه .

إنه لمن الطبيعي أن مادة البحث والتنقيب إذا مرت عليها القرون الطوال ولم يبحث فيها أحد أو ينقب عنها أو يوثقها، إما أن تندثر إلى الأبد، وإما أن تمتد إليها أيدي العابثين، فيغيروا كثيرا من حقائقها، لا سيما إذا كان هذا التراث يتعلق بجانب من أهم جوانب الحياة، وهو الجانب الروحي في الإنسان، ومما يدلنا على ذلك : الحيرة والارتباك والارتباب الذي وقع فيه علماء اللاهوت الغربيون عندما اتجهوا في القرن الثامن عشر الميلادي للبحث والتنقيب عن أصل الديانتين اليهودية والمسيحية . وخير مثال على ذلك : مدارس النقد الألماني^(١) للبحث في أسفار العهدين القديم والجديد، ومنها مدرسة تسمى بمدرسة The Form Criticism أي النقد الشكلي، وأخرى بمدرسة Reduction Criticism أي نقد المحتوى والمضمون .

لقد حاولت المدرستان الوصول إلى أصل أسفار العهدين القديم والجديد، وذلك باللجوء إلى المخطوطات القديمة والرحلة في طلب هذه المخطوطات، بل لجأت إلى الحفريات والآثار للنظر في إمكان العثور على بعض الدلائل التي تساعد في الوصول إلى أصل العهدين، ولكن هاتين المدرستين خرجتا بنتيجة واحدة، وهي : أن مسألة الوصول إلى حقائق تتعلق بالعهدين القديم والجديد مسألة صعبة وعسيرة جدا، وذلك لأنه توجد فجوة عميقة بين تاريخ تدوين العهدين وتاريخ اعتمادهما ضمن الكتاب المقدس .

فمثلا : نجد أن تواتر التوراة^(٢) منقطع بين سيدنا موسى عليه السلام ويوشيا بن آمون - كاتب التوراة بزعم اليهود - ويوشا هذا هو أحد الملوك الذين حكموا

(١) فيما يختص بهذا الموضوع يمكن الاضطلاع على الكتب الآتية .

1 - Re - Discovering The Teaching of The Evangelist.

2 - The Kerygma Of the Historical Jesus.

3 - Toward a Political Hermeneutic of the Gospel.

(٢) اظهر الحق ٥٦ - ٥٨ .

فلسطين، وقد امتد عهده بين عام ٦٤٠ و٦٠٩ ق.م، أي بعد وفاة سيدنا موسى عليه السلام بستة قرون تقريبا.

أما فيما يتعلق بالإنجيل: فإن هناك فجوة عميقة بين الفترة التي كتب فيها المؤلفون أناجيلهم التي نسبوها لعيسى عليه السلام، والفترة التي اعتمدت فيها تلك الأناجيل رسميا ضمن أسفار العهد الجديد، وذلك في مؤتمر نيقية عام ٣٢٥ م.

نجد كذلك أن عدم التثبت في نقل أخبار الرسل قد ضيع كثيرا من الحكم والمواظع والشرائع التي جاءت على لسان الأنبياء السابقين، مما أدى إلى تشكيك الناس في جدوى الديانتين اليهودية والمسيحية عبر العصور، ومن أمثلة ذلك: عالم اللاهوت ديفيد فليسار David Flusser الذي تشكك في جدوى الديانة اليهودية وفي كونها رسالة سماوية فقال: (إن الأنانية وحب الذات المتأصلة في الجنس اليهودي هي التي دفعتهم للزعم بأنهم أحباء الله، وبأن إلههم يهوى فضلهم على العالمين)^(١).

أما عالم اللاهوت البرت شواتزر Albert Shewitzer فقد تشكك في كون الديانة المسيحية رسالة سماوية وقال: (إن المسيح شخصية وهمية خرافية، اخترعها المستضعفون الذين كانوا واقعين تحت ضغط ملوك الرومان الجبارة وقهرهم، فأرادوا أن يجدوا لهم عزاء وسلوى في هذه الشخصية الأسطورية التي توهموا بأنها ستخلصهم مما هم فيه)^(٢).

أما المسلمون: فنحمد الله أنهم قد أدركوا فضيلة التثبت في نقل الأخبار وأهميته، لأن أصل التثبت موجود في كتاب الله وفي سنة رسوله، ومن أمثلة ذلك قول الله تعالى: (يَتَأَيَّاهُ الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَ كُفْرًا سَقُبًا فَتَبَيَّنُوا)^(٣).

قال العلامة أبو السعود في شرحه للآية: (فتبينوا: أي فتعرفوا وتفحصوا). قال أيضا: (قريء فتثبتوا: أي توقفوا إلى أن يتبين لكم الحال، حذر أن تصيبوا قوما بجهالة، أي متلبسين بجهالة حالهم، فتصبحوا بعد ظهور براءتهم عما أسند إليهم على ما فعلتم في حقهم نادمين، مغتمين غما لازما، متمنين أن لم يقع...)^(٤).

(١) انظر كتاب: Jesus

(٢) انظر كتاب: The Quest of the Historical Jesus, P. 358

(٣) سورة الحجرات: آية ٦.

(٤) تفسير الفخر الرازي: ٥ : ٥٨٨.

ولقد حذر الإسلام من العواقب الوخيمة التي قد تنتج من عدم التثبت في الأخبار، مثل: إزهاق النفوس، وإراقة الدماء التي أمر الإسلام بحقتها والمحافظة عليها، لذلك عقب الله سبحانه وتعالى على هذه الآيات بقوله (وَأِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَفُتِنَا لَوْلَا الَّذِي تَبَعَىٰ حَتَّىٰ نَفَىٰ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ) (١). كما أفاده الرازي بقوله: (هذه السورة فيها إرشاد المؤمنين إلى مكارم الأخلاق، وهي إما مع الله تعالى، أو مع الرسول ﷺ أو مع غيرهما من أبناء الجنس، وهم على صنفين، لأنهم إما أن يكونوا على طريقة المؤمنين وداخلين في رتبة الطاعة، أو خارجا عنها، وهو: الفاسق..

نقول: قدم الله ما هو الأهم على ما دونه فذكر جانب الله، ثم ذكر جانب الرسول، ثم ذكر ما يفضي إلى الاقتتال بين طوائف المسلمين بسبب الإصغاء إلى كلام الفاسق والاعتماد عليه، فإنه يذكر كل ما كان أشد نفارا للصدور، وأما المؤمن الحاضر أو الغائب فلا يؤدي المؤمن إلى حد يفضي إلى القتال، ألا ترى أن الله ذكر عقب نبأ الفاسق آية الاقتتال وقال: (وَأِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا...) (٢).

ولقد حث الرسول ﷺ المسلمين أيضا على تبليغ سنته وأمرهم بالتحري فيها، وشدد وغلظ على من يبلغ الأخبار الكاذبة، لا سيما في الأمور الشرعية. فقد أخرج الإمام البخاري بسنده من حديث عبدالله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «بلغوا عني ولو آية، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار» (٣).

يتبين للدارس في سيرة الصحابة والتابعين وأتباعهم الذين حفظوا القرآن والسنة: أنهم قد أدركوا أهمية التثبت، ولذا نراهم يدققون تدقيقا شديدا في قبول الأحاديث النبوية الشريفة أو ردها.

قال الإمام الذهبي في ترجمة أبي بكر الصديق رضي الله عنه: (كان أول من

(١) سورة الحجرات: آية ٩.

(٢) تفسير الفخر الرازي ٥: ٥٨٨، ٥٨٩.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل ٦: ٤٩٦ (من صحيح البخاري بشرحه فتح الباري).

احتياط في قبول الأخبار. روى ابن شهاب، عن قبيصة: أن الجدة جاءت إلى أبي بكر رضي الله عنه تلتمس أن تورث، فقال: ما أجد لك في كتاب الله شيئاً، وما علمت أن رسول الله ﷺ ذكر لك شيئاً، ثم سأل الناس، فقام المغيرة فقال: كان رسول الله ﷺ يعطيها السدس، فقال له: هل معك أحد؟ فشهد محمد بن مسلمة بمثل ذلك، فأنفذه لها أبو بكر رضي الله عنه^(١).

وكان سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه شديد الإنكار على من أكثر الرواية، أو أتى بخبر لا شاهد له عليه، وكان لشدة احتياطه وخوفه من أن يخطيء صاحب في حديث رسول الله ﷺ يأمرهم أن يُقلُّوا الرواية، يريد بذلك أن لا يتسع الناس فيها فيدخلها الشوب، ويقع التدليس والكذب من المنافق والفاجر والأعرابي، «وهو الذي سن للمحدثين الثبوت في النقل، وربما كان يتوقف في خبر الواحد إذا ارتاب»^(٢).

أما من تبعهم من أئمة المسلمين فقد فطنوا أيضاً إلى العواقب الوخيمة التي يمكن أن يؤدي إليها عدم الثبوت في قبول الأخبار وتداولها.

قال ابن حبان: «إن أحسن ما يدخر المرء من الخير في العقبى، وأفضل ما يكتسب من الذخر في الدنيا: حفظ ما يعرف به الصحيح من الآثار، ويميز بينه وبين الموضوع من الأخبار، إذ لا يتهياً معرفة السقيم من الصحيح، ولا استخراج الدليل من الصريح، إلا بمعرفة ضعفاء المحدثين، والثقات، وكيفية ما كانوا عليه من الخلاف»^(٣).

ثانياً: مدى الثبوت في قبول الأخبار وروايتها عند اليهود

١ - أصل التوراة كما يراها اليهود:

إن الباحث المدقق في تاريخ الديانة اليهودية كما كتبها علماء اليهود يجد أن العهد القديم Old Testament هو الذي يسمي به اليهود كل الأسفار المتضمنة في كتابهم المقدس، وهي عبارة عن تسعة وثلاثين سفراً.

(١) انظر تذكرة الحفاظ ٢/١.

(٢) تذكرة الحفاظ ٦/١ انظر أيضاً: مقدمة المصحح لمقدمة ابن الصلاح.

(٣) كتاب المجروحين ٤/١.

أما التوراة^(١) فهم يعتبرونها جزءا من العهد القديم، وهي عبارة عن خمسة أسفار أنزلت على سيدنا موسى عليه السلام، والذي يعتبرونه من أهم أنبيائهم، يقول في ذلك الدكتور حسن ظاظا: «تألف التوراة من خمسة كتب أو أسفار تنسب إلى موسى، وتوصف بأنها أنزلت عليه من الله في طور سيناء، وتغطي هذه الأسفار الخمسة فترة من التاريخ تبدأ مع بدء الخليقة، وتنتهي بوفاة موسى على جبل «بنو» شرق الأردن حوالي سنة ١٣٠٠ ق.م»^(٢).

وسوف أتناول هنا باختصار أسفار التوراة ومحتوياتها حسب ترتيبها في العهد القديم.

أولا: سفر التكوين أو بدء الخلق:

وهو يتحدث عن كيفية بدء الله للخلق في العالم، ويتحدث عن خلق آدم وحواء وخروجهما من الجنة، كما يتحدث عن بعض قصص الأنبياء، كقصة نوح والطوفان، وقصة إبراهيم الخليل وزوجاته ونسله، وينتهي بقصة سيدنا يوسف.

ثانيا: سفر الخروج:

وسمي بذلك لأنه يتحدث عن قصة خروج بني إسرائيل من مصر، وفي السفر أيضا: الوصايا العشر التي يرى اليهود بأنها أنزلت من الله تعالى على سيدنا موسى.

(١) كلمة التوراة كلمة عبرانية، وهي تعني: الشريعة أو التعليم، وهي تطلق على الأسفار الخمسة بالدرجة الأولى، ولكنها أصبحت الآن تعني مجمل أسفار العهد القديم. . . وهي تبلغ تسعة وثلاثين سفرا، يطلق عليها المسيحيون اسم العهد القديم، لأنها تحتوي على كل تفاصيل العهد الأول الذي قطعه الإله مع إبراهيم الخليل ونسله، تمهيدا لعهد جديد قطعه الله مع الجنس البشري بواسطة يسوع المسيح بزعم النصارى. انظر كتاب نسف الأضاليل: ٤٢، ٤٣.

ولقد وضع لنا عبد الكريم الخطيب أيضا بأن كلمة توراة كلمة عبرية الأصل بقوله: إن التوراة كلمة عبرية، أصلها توره ومعناها الهدى والرشاد، ويطلق عليها في اللغة اليونانية بنتاتوش، ومعناه: الملفات الخمسة، ويقصد بالملفات الخمسة الأسفار الخمسة التي جاء بها موسى متمضنة في العهد القديم، الذي يتكون من تسعة وثلاثين سفرا.

انظر كتاب المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل: ٦٩.

(٢) الفكر الديني الإسرائيلي أطواره ومذاهبه: ١٣

انظر أيضا مادة توراه في: New Caxon Encyclopedia vol 9, 2922

ثالثا: سفر اللاويين أو سفر الأخبار:

هذا السفر يتضمن كثيراً من التشريعات والوصايا والأحكام الخاصة ببني إسرائيل.

وقد جاء^(١) هذا الاسم نسبة إلى أسرة لاوي التي أعطاها موسى تابوت العهد، وحملهم مسئولية الحفاظ على التوراة ومدارستها لبني إسرائيل.

وهذا السفر يتميز عن بقية الأسفار باقتصاره على: التشريعات، والكفارات والبشارات، والإنذارات، والطقوس، والأعياد، والمحرمات من الأنكحة والأطعمة.

رابعا: سفر العدد:

يوجد في هذا السفر نسبة بني إسرائيل حسب انتمائهم للأسباط الاثني عشر، ويوجد في السفر أيضا: بعض الأقوال التي تشابه ما جاء في سفر الخروج، ثم يوجد في نهايته بعض أنظمة الطقوس الدينية والاجتماعية.

خامسا: سفر التثنية:

ومعناه: إعادة التشريعات الدينية الموجودة في التوراة وتكرارها، لترسخ في النفوس. ويوجد في السفر كذلك تذكير بالوصايا العشر، وبعض المسائل التي تتعلق بالأطعمة والأشربة المباحة والممنوعة بالنسبة لبني إسرائيل، وينتهي السفر بذكر خبر وفاة موسى عليه السلام.

إن تعاليم التوراة المتضمنة في الأسفار المنسوبة لموسى عليه السلام هي الأسفار التشريعية عند اليهود، وهم يطلقون عليها: اسم التوراة^(٢)، واسم سفر توراة

(١) في شأن أسفار التوراة أنظر:

العهد العتيق من الكتاب المقدس: ١ - ٨٢٠.

(٢) جاء في العهد القديم: أن موسى عليه السلام قال: (في الموضع الذي يختاره الله - تنادي عليهم بهذه التوراة على مسمع من جميع إسرائيل) سفر تثنية الاشتراع: (٣: ١٥) من الكتاب المقدس العهد القديم ٣٥٣/١ وجاء أيضا: (خذوا سفر هذه التوراة، واجعلوه إلى تابوت عهد الرب إلهكم فيكون شاهدا عليكم) سفر الاشتراع ٣١: ١٧. من الكتاب المقدس، العهد القديم ٣٥٢/١.

الرب^(١)، واسم سفر الميثاق^(٢)، وسفر موسى أو تورا موسى^(٣)، واسم تورا الله^(٤).

ويعتقد اليهود بأن التورا أنزلت على الأمم الإسرائيلية فقط، وهي عبارة عن أحكام وشرائع تخص الإسرائيليين وحدهم، أنزلها إلههم يهوى لهدايتهم - دون غيرهم - إلى طريق الرشاد، وعليه فلا يحق لغير اليهودي أن ينتفع بالتورا يقول في ذلك الدكتور أحمد شلبي: «إن الديانة اليهودية ذات ارتباط بشعب معين كما يؤخذ من تسميتها: اليهودية^(٥) أو العبرية^(٦)، وهي بذلك تشبه الديانة الهندوكية في أنها ديانة مغلقة، أي ليست من ديانات الدعوة، وليست إلا تعبيراً طبيعياً لشعب خاص، وجزءاً من ثقافة اجتماعية لا تقبل الغرباء.

والذي يقرأ الأسفار كلها لا يجد فيها ما يدل على أن موسى أو بني إسرائيل

-
- (١) جاء في العهد القديم: قصة الكاهن حلقيا الذي وجد سفر تورا الرب بخط موسى سفر الأيام الثاني ٩ : ١٤ من الكتاب المقدس، العهد القديم ٧٧٥/١.
 - (٢) يروي سفر الأيام الثاني قصة الملك الذي آمن بالتورا بعد عثور حلقيا على الأسفار وفيه: (وصعد الملك إلى بيت الرب هو وجميع رجال يهوذا، وسكان أورشليم، والكهنة، واللاويون، وجميع الشعب من الكبير إلى الصغير، فتلا على مسامعهم جميع كلام سفر الميثاق الذي وجد في بيت الرب). سفر أخبار الأيام الثاني ٣٥ : ٣١ من الكتاب المقدس، العهد القديم ٧٧٧/١.
 - (٣) جاء في سفر عزرا: (وقام الكهنة وفرقهم واللاويون بأقسامهم على خدمة الله كما كتب في سفر موسى) سفر عزرا ٧ : ١٨ من الكتاب المقدس العهد القديم ٧٩٤/١. وفي سفر نحemia (وتكلموا مع عزرا الكاتب في إحضار تورا موسى).
 - (٤) سفر نحemia ٨ : ١ من الكتاب المقدس العهد القديم ٨١٦، ٨١٧.
 - (٥) جاء في سفر نحemia : (وكان يتلى في سفر تورا الله) سفر نحemia ٨ : ١٨ من الكتاب المقدس العهد القديم ٨١٨/١.
 - (٦) اليهود: التوبة. هاد يهود هودا، أي تاب ورجع، وقيل: إنهم سموا يهوداً لأنهم يتهودون ويتحركون عند قراءة التورا، وقيل إنهم سموا كذلك نسبة إلى يهوذا الابن الرابع ليعقوب. انظر لسان العرب ١٥ : ٤٣٩.
 - (٦) قيل: إنهم سموا بالعبرانيين نسبة لإبراهيم الخليل نفسه، جاء في سفر التكوين: إن إبراهيم: هو إبراهيم العبراني، لأنه عبر نهر الفرات. وقيل: إنهم سموا عبرانيين نسبة إلى عبر، وهو الجد الخامس لإبراهيم الخليل. وقيل: إن العبري هو البدوي، فكان اليهود بدواً في الأصل بسبب معيشتهم في الصحراء حياة البداوة.

انظر : The New caxon Encyclopedia, PP. vol 9, 2966-2967—

كانوا مأمورين بدعوة غيرهم إلى ديانتهم . وكل ما في الأسفار منصب على كون الديانة اليهودية ديانتهم الخاصة، وكون الرب ربهم الخاص»^(١) .

ومما يدلنا على أن اليهود يعتبرون أن ديانتهم قاصرة على بني إسرائيل وحدهم : تقسيمهم الناس إلى يهود و «جوييم» ، وأن اليهود هم السادة الذين اختارهم الله وسخر لهم جميع الأمم ، أما الجوييم فهم عبيد خلقهم الله لخدمة بني إسرائيل وتلبية مطالبهم .

يعتقد اليهود - حسب تعاليم التلمود^(٢) - : أنهم شعب الله المختار، وأنهم أبناء الله وأحباؤه، فإن الله لا يتقبل العبادة إلا من اليهود، لأنهم طاهرون، أما غير اليهود فهم جوييم، أي عباد أوثان، وبناء على هذا الزعم أباح اليهود التعامل بالحنس مع الطاهرين فقط، وحرموه مع الأنجاس .

يقول في ذلك باركلي : (إن أي يهودي يشهد ضد يهودي آخر لصالح أجنبي من الجوييم يُلعن ويُسب، ولا يعتبر اليهودي حائثاً في أي يمين كاذبة مع الأنجاس من الجوييم، ولا يجوز للطبيب اليهودي أن يعالج أحداً من الجوييم، أو يخلص له، إلا بقصد الحصول على المال، ولا يجوز إنقاذ أرواح الجوييم، كذلك لا يجوز لليهودي أن يأكل من ذبيحة الجوييم لأنها تعتبر كالخيفة)^(٣) .

(١) مقارنة الأديان - اليهودية : ١٨٦ .

(٢) للمزيد من المعلومات في هذا الشأن يمكن الرجوع إلى كتاب : Jesus, PP : 18 - 28 التلمود : هو مجموعة القوانين الشفهية التي وضعها حاخامات اليهود، وينقسم التلمود إلى : المشنة وهو الأصل، أو المتن، ثم شرح المشنة، والذي يطلقون عليه اسم جمارا، والمشنة هي أول لائحة قانونية وضعها اليهود لأنفسهم بعد التوراة، جمعها يهوذا هانانسي فيما بين ١٩٠ - ٢٠٠ م .

أما جمارا فينقسم إلى قسمين، يسمى بجمارا أورشليم أو فلسطين، وهو سجل للمناقشات التي أجراها حاخامات فلسطين لشرح أصول المشنة، ويرجع تاريخ جمعه إلى عام ٤٠٠ م والقسم الآخر يسمى بجمارا بابل، وهو سجل مماثل للمناقشات حول تعاليم المشنة، دونها علماء بابل من اليهود وانتهوا من جمعها عام ٥٠٠ م تقريباً، والمشنة في أصله هو خلاصة القانون الشفهي الذي تناقله الحاخامات منذ ظهور حركة الفريسين التابعة لأهواء النفس . انظر التلمود تاريخه وتعاليمه : ١١ ، ١٢

Hebrew Litetature PP 29 - 30

(٣) لأجل المعلومات الأساسية عن اليهود واليهودية يمكن الرجوع الى كتاب : The Shaping of Jewish History

٢ - أحبار اليهود وأثرهم في تحريف التوراة:

إن عدم التثبت في حفظ الآثار الواردة في التوراة وعدم اهتمام أحبار اليهود بصيانة التوراة في القرون الأولى لليهودية بل إلى اليوم، كان له أثر كبير في تحريفها وضياعتها.

ومما يدلنا على ذلك: أن التوراة التي أنزلت على سيدنا موسى عليه السلام قد كتبت بعد وفاته بعدة قرون، وأن حاخامات اليهود أعطوا أنفسهم الحق المطلق في كتابة أسفار التوراة حسب أهوائهم، يقول في ذلك محمد شكري سرور: «غير أن هذه التسمية - التوراة - لا يصح أن يحمل على الاعتقاد بأن هذه الأسفار قد كتبها موسى، أو أنها هي التوراة التي أوحى بها إليه، ذلك أنه من المسلم به أن هذه الأسفار قد كتبت بعد عهده بزمان بعيد، كتبها أحبار اليهود أنفسهم، وعلى مراحل منذ القرن التاسع إلى القرن الخامس قبل الميلاد، حتى تكونت على صورتها الحالية، وبالتوراة نفسها من النصوص ما يؤكد أن موسى عليه السلام لم يكن هو الذي جاء بها، أو أنها نزلت عليه، كالنصوص التي تتكلم عن وفاته على سبيل المثال»^(١).

ولقد أكد بعض المؤرخين^(٢) وبعض فلاسفة الأديان في الغرب بأن أحبار اليهود كان لهم أثر كبير في وضع بعض الشرائع والنظم المتضمنة في التوراة، وقال بعضهم من أمثال جرشولم وترفورلتق: إن الأسر البابلي لليهود هو الذي دفع الأحبار إلى محاولة جمع التوراة، خوفا على مستقبل الديانة اليهودية، وهناك خلاف حول أول من جمع التوراة، فبعض المؤرخين يرجعون ذلك إلى يوشيا بن آمون عام ٦٠٩ ق.م. وبعضهم يرجع ذلك إلى عزرا عام ٤٣٥ ق.م. لكن جرشولم وترفور يرجحان أن الذي جمع التوراة هو عزرا، مدعيا بأنه إنما كلف بجمع التوراة بإلهام من الله.

ولقد أكد الشيخ رحمة الله الهندي أن سند التوراة منقطع بين سيدنا موسى عليه

(١) نظام الزواج في الشرائع اليهودية والمسيحية : ١٣

انظر أيضا : سفر تثنية الاشتراع ٣٤ : ٦، ٥ من الكتاب المقدس العهد القديم ١٣٥٧ .

(٢) لمزيد من المعلومات حول جمع التوراة ارجع إلى :

a - The Messianic idea in Judaism

b - The Shaping of Jewish History.

السلام ومؤلف التوراة، وذلك في قوله: «اعلم أنه لا بد لكون الكتاب سماويا واجب التسليم، أن يثبت أولا بدليل تام: أن هذا الكتاب كتب بواسطة النبي الفلاني، ووصل إلينا بعد ذلك بالسند المتصل بلا تغيير أو تبديل. إن تواتر التوراة منقطع من موسى إلى زمن يوشيا بن آمون، ويزعم اليهود أن يوشيا بن آمون هو أحد ملوكهم، والذي حكم من عام ٦٤٠ إلى عام ٦٠٩ ق. م أي بعد موسى عليه السلام بستة قرون تقريبا»^(١).

ولقد تشكك سيجموند فرويد حول احتفاظ التوراة بالسلمات الأولى للسان الذي كان يخاطب به موسى قومه قائلا: «فنحن نعلم أن قرونا كانت قد مرت بين أيام يوسف وأيام موسى، وأن موسى نفسه ولد في مصر، كما ولد فيها آباؤه من قبل، وأنه تربى في بيت فرعون، وهو أبعد البيوت في مصر عن احتمال التفاهم باللغة العبرية، أو بلغة شبيهة بها من لغات الساميين»^(٢).

ومما يدلنا على أن أحبار اليهود كان لهم أثر كبير في تحريف التوراة: اقتناعهم بأن المشناة (وهي متن التلمود) كتاب مقدس على الرغم من اعترافهم بأنها قوانين وضعية، جمعها فرد واحد، وهو الحاخام يهوذا هانانسي. وفي ذلك يقول الفيلسوف اليهودي موسى بن ميمون^(٣) في تعريفه للمشناة: «منذ أيام معلمنا موسى وحتى حاخامنا المقدس يهوذا هانانسي لم يتفق أحد من علماء اليهود على أية عقيدة من العقائد التي كانت تدرس علانية باسم القانون الشفهي، بل كان رئيس محكمة كل جيل أو نبي كل جيل، يضع مذكرة عما سمعه من سلفه وموجهيه، لينقلها شفها إلى شعبه.

(١) إظهار الحق ١/٥٦ - ٥٨، لقد قيل: إن التوراة التي بين أيدي اليهود الآن جمعها عزرا حوالي سنة ٤٣٥ ق. م، أفادة الدكتور إسماعيل راجي الفاروق في كتابه أصول الصهيونية في الدين اليهودي:

(٢) الفكر الديني الإسرائيلي أطواره ومذاهبه: ١٤، ١٥
(٣) موسى بن ميمون من كبار مفكري اليهود، وأحد أحفاد الحاخام المقدس لديهم، وهو يهوذا هانانسي، ويهوذا هذا من أكبر علماء اليهود، وهو الذي جمع المشناة، ولد ابن ميمون في مدينة قرطبة بالأندلس في ٣٠ مارس ١١٣٥ م. أول كتبه شرح المشناة، تعلم في القاهرة اللغة اليونانية والكلدانية، حتى صار أستاذا في المدرسة التي أنشأها يهود مصر في الفسطاط، توفي عام ١٢٠٤ م.

وهكذا ألف كل فرد من العلماء كتابا مماثلا يستفاد منه حسب درجة كفاءته، إذا كان متمكنا من القوانين الشفهية وما توصل إليه السابقون من تفسير التوراة والقرارات التي أعلنت في مختلف الأجيال وقررها السنهدين.^(١)

وهكذا تقدم الزمن حتى أتى حاخامنا المقدس الذي جمع لأول مرة كل ما يتعلق بالسنة والأحكام والقرارات، وشرح القانون المروي عن موسى^(٢).

٣ - عدم تحمل أحبار اليهود للتوراة وأثر ذلك على الملة اليهودية.

إن عدم تحمل أحبار اليهود للتوراة كان له أثر كبير في إدخال كثير من البدع في الديانة اليهودية، بل أدى ذلك إلى انقسام اليهود إلى طوائف وفرق عديدة. ومن أمثلة ذلك: ما رأيناه في انقسام التلمود إلى تلمود أورشليم وتلمود بابل. ولم يكف أحبار اليهود بهذين القسمين، بل قام بعض الأحبار بابتداع قوانين^(٣) أخرى، ليضارعوا بها المشنة، ومن أمثلة ذلك: كتاب الحاخام اليعاذر^(٤) بن يعقوب، والذي أسماه بريثا Braitha، ويعتبره بعض اليهود نظيرا للمشنة، لأن أكثر من مائة حكم من أحكام الشريعة التلمودية هي من وضع الحاخام اليعاذر، وهذا على الرغم من المخالفات التي أبداه الحاخام ضد المشنة.

إن تصرف أحبار اليهود في التوراة وشرحها بما يروق لهم نفي الاعتقاد لدى اليهود بأن أقوال أحبار اليهود لها منزلة عظيمة من القداسة، بل هي تضارع أقوال أنبياء بني إسرائيل، وأقوال سيدنا موسى عليه السلام نفسه.

(١) السنهدين : معناه بالعبرية المحكمة العليا، وهو الباب الرابع من رسالة المشنة، ويعالج حسب معناه اللفظي موضوع المحكمة اليهودية العليا وقواعدها ودستورها، وهو يعالج الحالات التي يمكن للمحكمة العليا اليهودية أن تصدر حكمها فيها أو تتدخل، وقد شبه أحد علماء اليهود السنهدين بلائحة القاضي. انظر كتاب التلمود تاريخه وتعاليمه : ٢٢، ٢١.

(٢) التلمود تاريخه وتعاليمه : ١٢، ١٣.

(٣) فيما يختص بهذا الموضوع يمكن الرجوع إلى كتاب : The Messianic idea in Judaism
(٤) لقد ساق لنا جرشوم شولم أقوالا تشير إلى أن اليهود عظموا كلام أحبارهم وضاهوا به كلام الله.

انظر كتاب Jewich Mysticism P. 14

(٤) التلمود تاريخه وتعاليمه : ١٥

يقول في ذلك الدكتور يوسف حنا : « التلمود عند اليهود أفضل من التوراة، لاعتقادهم بعصمة الحاخامات من الخطأ، وكل ما قالوه يعتبر كأقوال إلهية.

جاء في صحيفة من التلمود: إن من درس التوراة فعل فضيلة لا يستحق المكافأة عليها، ومن درس المشناة فعل فضيلة استحق أن يكافأ عليها، من احتقر أقوال الحاخامات استحق الموت دون من احتقر أقوال التوراة، ولا خلاص لمن ترك تعليم التلمود واشتغل بالتوراة فقط، لأن أقوال علماء التلمود أفضل مما جاء في شريعة موسى^(١).

إن الآثار السيئة التي ترتبت على عدم تحمل أحبار اليهود للتوراة كثيرة ومتعددة، منها ما رأيناه سابقا من خلط التعاليم الوضعية بالتعاليم الإلهية، بل وتعظيم تلك التعاليم ووضعها فوق التعاليم الإلهية.

وبدلنا على ذلك : الخلط واللبس والتزوير والتغيير الذي طرأ على كثير من نصوص التوراة، فأدى إلى تشويه العقيدة اليهودية، وتمثل ذلك في وصفهم لله بصفات لا تليق بعظمته وجلاله : من طيش وكذب وتعبد وغيرها من النقائص، وأدى ذلك بدوره إلى تنمية الاعتقاد لدى اليهود بأن مخلوقات الله تستطيع أن تعاتب الله سبحانه وتعالى وتؤنبه وتوبخه وتضطره إلى البكاء والندم، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا. وإليك بعض الشواهد على ذلك من كتاب الكنز المرصود في قواعد التلمود:^(٢)

جاء في التلمود: أنه لا شغل لله في الليل غير تعلمه التلمود مع الملائكة ومع أسموديه (ملك الشياطين) في مدرسة في السماء.

جاء في التلمود أيضا: ولم يلعب الله مع الحوت بعد هدم الهيكل، كما أنه من ذلك الوقت لم يمل الرقص مع حواء بعد ما زينها بملابسها، وعقص لها شعرها. وقد اعترف الله بخطيئته في تصريحه بتخريبه الهيكل، فصار يبكي ويزار كالأسد قائلا: تبا لي، لأنني صرحت بخراب بيتي، وإحراق الهيكل، ونهب أولادي. وشغل الله

(١) الكنز المرصود في قواعد التلمود : ٤٤

(٢) المرجع السابق نفسه : ٤٩ - ٥١

فيما يختص بمحتويات التلمود يمكن الرجوع إلى :

a - Hebrew Literature

b - The Talmud

مساحة أربع سماوات - من شدة حزنه - بعد أن كان ملء السموات والأرض في جميع الأزمان.

جاء أيضاً: إن الله صرح بأنه لا يستحق كل هذا التمجيد الذي يقدمه له اليهود في قوله: ما أسعد الملك الذي يمدح ويجل مع استحقاقه لذلك، ولكن لا يستحق شيئاً من المدح الأب الذي يترك أولاده في الشقاء.

جاء أيضاً: يندم الله على تركه اليهود في حالة التعاسة، حتى إنه يلطم ويكي كل يوم.

وجاء أيضاً: إن القمر أنب الله لأنه خلقه أصغر من الشمس، فاعتذر الله قائلاً: اذهبوا لي ذبيحة أكفر بها عن ذنبي، لأنني خلقت القمر أصغر من الشمس أ. هـ.

إن هذا الفساد الديني لدى اليهود أدى إلى فساد دنيوي مماثل، انعكس في سوء أخلاق اليهود وتعاليمهم على البشر، ومحاولاتهم المستمرة لاستغلال الأمم الأخرى، لأنهم شعب الله المختار الذين اصطفاهم الله برسالاته وكتبه، لأنهم حسب زعمهم في تحالف أبدي مع الله، لاحتياج الله إليهم كاحتياجهم إليه، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

ولقد قادهم اعتقادهم هذا إلى تقسيم العالم إلى فريقين، فريق مقرب لله وهم اليهود، وفريق مبعد من الله ومسخر لليهود، وهم الجوييم، وبناء على هذا التقسيم غالى اليهود في مسألة التعالي على البشر، بل بلغت بهم الجرأة إلى الزعم بأن العالم بما فيه من بشر وخيرات يجب أن يسخر لخدمة اليهود، وقد بين لنا صاحب كتاب الخطر اليهودي ذلك بقوله:

«لكن اليهود يسرفون في التعالي والقطيعة بينهم وبين غيرهم، إلى درجة فوق الجنون، فهم يعتقدون أن خيرات العالم أجمع منحة لهم وحدهم من الله، وأن غيرهم من الأميين، وكل ما في أيديهم ملك لليهود، ومن حق اليهود بل واجبه المقدس معاملة الأميين كالبهائم، وإن الآداب التي يتمسك بها اليهود لا يجوز أن يلتزموها إلا في معاملة بعضهم بعضاً، ولكن لا يجوز لهم بل يجب عليهم وجوباً إهدارها مع الأميين أو الجوييم، فلهم أن يسرقوهم ويغشوهم، ويكذبوا عليهم ويخدعوهم، ويغتصبوا أموالهم، ويهتكوا أعراضهم، ويقتلوهم إذا أمنوا اكتشاف

جرائمهم، ويرتكبوا في معاملتهم كل الموبقات، والله لا يعاقبهم على هذه الجرائم، بل يعدها قربات وحسنات يثيبهم عليها»^(١).

وانطلاقاً من قاعدة : أن اليهود معتبرون عند الله أكثر من كل مخلوقاته، اعتبر اليهود أن روح اليهود طاهرة ومخلوقة من روح الله، أما غيرهم فأنجاس، وبالتالي وضع اليهود مقاييس مزدوجة للأخلاق وكيفية التعامل مع البشر، فأجازوا الكذب والنفاق والخداع مع غيرهم، وحرموها فيما بينهم، ولقد أفادنا الدكتور يوسف حنا ذلك بقوله :

«فلقد صرح أحد حاخامات اليهود: بأن الله قد سلط اليهود على أموال باقي الأمم ودمائهم، فالسرقة من الأئمين عندهم لا تعتبر سرقة، بل تعتبر استرداداً لأموالهم.

وينصح حاخام آخر اليهودي بأن يجتهد في غش الجوييم ما استطاع إلى ذلك سبيلاً.

وأن قتل اليهودي لغير اليهودي لا يعتبر جريمة عند اليهود، بل هو فعل يرضي الله سبحانه وتعالى في نظرهم.

وقد صرح أحد حاخامات اليهود بأن لليهود الحق في اغتصاب النساء غير المؤمنات، أي غير اليهوديات. وقال آخر: على اليهودي أن يؤدي عشرين يمينا كاذبة ولا يعرض أحد أخوانه اليهود لضرر ما»^(٢).

٤ - أثر البيئة الاجتماعية في تحريف التوراة.

لقد سبق أن رأينا أن أحبار اليهود لم يولوا التوراة العناية الكافية لصيانتها من عبث العابثين، ولم يبال الأحبار بالعبث بالتوراة، وزعموا بأن الخبر يمكنه أن يأتي

(١) الخطر اليهودي : ٦١، ٦٢

قال جوزيف باركلي : (بعض أقوال التلمود فيها مغالاة وبعضها كفر، وهي تمثل الحماقة الإنسانية في قمتها).

Hebrew Literature P. 17

فيما يختص بهذا الموضوع يمكن الرجوع إلى كتاب :

The Talmud, PP : 30, 31

(٢) الكنز المرصود في قواعد التلمود : ٩٤، ٩٥

بتشريعات جديدة تماثل ما جاء به الأنبياء والرسل ، وهذا أدى إلى عدم تثبتهم وتحريم عن أصالة التعاليم الدينية التي تضم إلى التوراة.

وهذا بالطبع أدى إلى ظهور تأثير البيئات والثقافات المتباينة في التوراة. يقول في ذلك الدكتور جوزيف باركلي: «إن اليهودية المتحررة الحديثة (Modern Liberal Judaism) تؤمن بأن كلا القانونين: المكتوب والشفهي نتاج العبقرية اليهودية الدينية، ولكنها تؤمن بأنه يجب تعديل هذه القوانين من وقت لآخر حسب الحاجة، وانسجاما مع الفكر الديني المعاصر. وكلاهما - الأرثوذكسية والمتحررة - متفقتان على أن القانون الشفهي^(١) منع القانون المكتوب من التجمد والصرامة بأن أضاف إليه عناصر جديدة وعادات شعبية، وقوانين جديدة، أي أن اليهود استطاعوا تطوير قانونهم ليلآئم الظروف الجديدة»^(٢).

والظروف التي أشار إليها الكاتب: هي البيئة الوثنية التي كانت تحيط باليهود منذ القدم، يدلنا على ذلك تأثير اليهود بديانة «بعل» الوثنية التي كانت سائدة عند الكنعانيين. ومن صور تأثير اليهود بتقاليد الكنعانيين بناؤهم لمعبد يهوى اقتداء بمعبد

(١) يمكن للقانون الشفهي - بزعم اليهود - أن يمحو القوانين الإلهية، ويدلنا على ذلك بعض العبارات التي نقلها صاحب الكنز المرصود من التلمود، ومنها: أن تعاليم الحاخامات لا يمكن نقضها وتغيرها ولو بأمر الله!! وقد وقع يوما اختلاف بين الباربي تعالى وبين علماء اليهود في مسألة، وبعد أن طال الجدل تقرر إحالة فصل الخلاف إلى أحد الحاخامات الربيين، واضطر الله أن يعترف بغلظه بعد حكم الحاخام المذكور
انظر كتاب الكنز المرصود في قواعد التلمود : ٤٧

يقول جوزيف باركلي: (إن التلمود يشمل روايات عصر ما بعد التوراة، حيث تمت صياغة جديدة للديانة اليهودية تختلف في كثير من التفاصيل عما هو مدون في أسفار التوراة).

Hebrew Literature, P. 14

(٢) التلمود تاريخ وتعاليمه : ٣٣

بعل الأسطوري الذي بناه الكنعانيون، وليس هذا فحسب، بل إن اليهود قد اشتركوا مع الكنعانيين في عبادة بعل جنباً إلى جنب مع إلههم «يهوى»^(١).

كما أن اليهود قد عبدوا آلهة أخرى متعددة على مر العصور، استجابة لدواعي البيئة المتغيرة التي كانوا يعيشون فيها، والثقافات المختلفة التي كانوا يتلقونها من جراء اتصالهم مع القبائل والأمم الأخرى. هذا على الرغم من جهود أنبيائهم المتواصلة لردهم إلى ديانة التوحيد^(٢)، لكن اليهود ادعوا بأن أنبياءهم^(٣) قد شاركوهم في عبادة الأصنام، ويصف الدكتور أحمد شلبي حالة اليهود بعد ملك سليمان قائلاً: (وفي سلطان الكهنة انتشرت التربية الدينية، ولكن ذلك لم يكف لتحرير عقول العبرانيين من الخرافات والأوهام، ومن عبادة الأوثان، بل ظلت قُلل التلال والحراج مأوى للآلهة الأجنبية، ومشهداً للطقوس الخفية، وظلت جماعات كبيرة من الشعب تسجد للحجارة المقدسة، أو تعبد بعل وعشتروت، أو تتنبأ بالغيب على الطريقة البابلية، أو تقيم الأنصاب وتحرق لها البخور، أو تركع أمام الحية النحاسية أو العجل الذهبي، أو تملأ الهيكل بضجيج الحفلات الوثنية)^(٤).

(١) أساطير العالم القديم : ١٨١

ويقول وليام كورتي في عبادة اليهود لبعل جنباً إلى جنب مع يهوى :

(The religion of canaan Baal means lord or owner and designates the male deity who owns the land and controls its Fertility ... it is not surprising that the Israelites, unaccustomed to the ways of agriculture turned to the god of land they did not mean to turn away from yahweh,... to Yahweh they would look in times of military crisis, and to Baal they would turn for success in agri culture Thus they would serve Yahweh and Baal side by side).

Judea - Christian Heritage, P. 82.

نستنتج كذلك من سفر الملوك الرابع : أن معابد اليهود قبيل الملك يوشيا كانت مملوءة بالمعبودات والأصنام التي تمثل (بعل) وملوك الشمس والقمر، وكل أجرام السماء، وكان الشعب يسجد لها).

سفر الملوك الرابع ٢٣ : ١ - ١٥ من الكتاب المقدس العهد القديم ١/٦٦٣، ٦٦٤

(٢) جاء في سفر نبوة أرميا (يقول الرب : إن آباءكم قد تركوني وذهبوا وراء آلهة أخرى وعبدوها وسجدوا لها، وإياي تركوا، وشريعتي لم يحفظوا، وأنتم أسأتم في عملكم أكثر من آبائكم، وها أنتم ذاهبون كل واحد وراء عناد قلبه الشرير، حتى لا تسمعوا لي)

سفر نبوة أرميا ١٦ : ١١ - ١٢ من الكتاب المقدس العهد القديم ٢/٤٥٦.

(٣) ادعى اليهود بأن سيدنا سليمان عليه السلام عبد عشتاروت

انظر سفر الملوك الثالث ١١ : ١ - ٨ من الكتاب المقدس العهد القديم ١/٥٩١

(٤) مقارنة الأديان - اليهودية : ١٨٩ - ١٩٠.

ومما يدلنا على أن البيئة الاجتماعية والسياسية كان لها أثر في تشكيل اليهودية وصف الدكتور الطنطاوي لطائفة الصدوقين اليهودية بقوله: «وهم ينكرون البعث والحساب، والجزاء، والجنة، والنار، ويقولون: إن جزاء الإنسان إنما يتم في الدنيا، وينكرون كذلك التلمود، وحتى التوراة يرون أنها غير مقدسة قدسية مطلقة، بل للفرد أن يدخل عليها ما يراه مناسباً، ومعظم المنتسبين إلى هذه الفرقة من أغنياء اليهود وأثريائهم ووجهائهم، ويرى بعض الباحثين: أنهم إلى الحزب السياسي أقرب منهم إلى الطائفة الدينية»^(١).

ومما يدلنا على تأثر اليهودية بالعوامل السياسية: أن أحد ملوك مملكة إسرائيل أقام أوثانا ودعا شعبه لعبادتها، وذلك لكي يصرفهم عن الافتتان بخصمه الآخر في مملكة يهوذا.

جاء في سفر الملوك: «وعمل عجلين من الذهب، وقال لهم: لا حاجة لكم بعد بالصعود إلى أورشليم، هذه آلهتكم يا إسرائيل، التي أخرجتكم من مصر، وأقام باربعام عيداً كالعيد الذي في يهوذا...»^(٢).

ولقد تعرض اليهود عبر تاريخهم الطويل إلى كثير من الاعتداءات والهزائم والتشريد من جانب الأمم القوية التي كانت تحيط بهم، مما أدى إلى فقدانهم لمعظم الوثائق التي تضمنت نصوص التوراة التي جاء بها موسى، بجانب قتل وتشريد علمائهم الذين كانت لهم معرفة دقيقة ببعض أحكام التوراة، فاضطروا إلى أن يجتهدوا في تعويض ذلك عن طريق استلهام التعاليم القديمة عن أسلافهم، وإضافة بعض الأفكار التي تسربت إليهم من الهام الوثنية، وقد نقل لنا الدكتور جوزيف باركلي ذلك بقوله: «لقد أثبتت الأبحاث التاريخية أن كتب اليهود قد تعرضت لكثير من المصادرة والتحريف، فقد نشبت حروب كثيرة بين اليهود وبعض الامبراطوريات القوية في تلك الأزمان: كالإمبراطورية الرومانية، والبابلية، مما

(١) بنو إسرائيل في القرآن والسنة: ٩٨، ٩٩.
حول عبادة اليهود للأوثان، يمكن الرجوع إلى كتاب:
Judea Christian Heritage, P. 82.

(٢) سفر الملوك الأول ١٢: ٢٩ - ٣٣ من الكتاب المقدس العهد القديم ٥٩٥/١، ٥٩٦.

تسبب في نهب هيكل اليهود، وإحراق كتبهم المقدسة، وتدمير مدينة أورشليم بأكملها عام ٧٠ م، وكان هذا سببا في ضياع التوراة، مما دفع اليهود إلى إعادة كتابتها مرة أخرى، اعتمادا على رواية بعض الحاخامات الذين ادعوا إمامهم بها، كيوشيا بن آمون الذي جمع نسخته من التوراة عام ٦٥٩ ق.م، وعزرا الذي جمع نسخته من التوراة عام ٤٤٤ أو عام ٤٣٥ ق.م^(١).

ونستنتج من هذه الأقوال: أن نصوص التوراة التي جاء بها موسى قد ضاعت، ويدلنا على ذلك: انقطاع سلسلة السند بين سيدنا موسى عليه السلام ومؤلفي التوراة المعتمدة لدى اليهود الآن، من أمثال يوشيا بن آمون، الذي ألف نسخته عام ٦٠٩ ق.م، أو عزرا الذي اختلف اليهود في تاريخ تأليف نسخته بين عامي ٤٤٤ ق.م أو ٤٣٥ ق.م.

٥ - أصل التوراة في القرآن الكريم والسنة الشريفة.

إن التوراة - كما ورد في القرآن الكريم - هي الكتاب الذي أنزله الله عز وجل على النبي الكريم موسى عليه السلام هداية لقومه بني إسرائيل. قال تعالى: (وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ)^(٢).

قال ابن كثير: (الكتاب يعني التوراة والفرقان وهو ما يفرق به بين الحق والباطل والهدى والضلال)^(٣).

Hebrew Literature, PP. 36 - 40.

(١)

لأجل المعلومات الأساسية عن الأسباب السياسية والاقتصادية التي شكلت اليهودية، ارجع الى كتاب :

The Shaping of Jewish History

(٢) سورة البقرة : آية ٥٣/

(٣) جاء في تفسير ابن كثير حديث أخرجه أبو داود الطيالسي بسنده من حديث ابن عباس رضي الله عنه قال : حضرت عصابة من اليهود التي ﷺ فقال لهم : هل تعلمون أن إسرائيل يعقوب؟

قالوا : اللهم نعم، فقال النبي ﷺ : اللهم اشهد. وعن ابن عباس : أن إسرائيل كقولك عبدالله. تفسير ابن كثير : ٥٧/١.

أخرجه أبو داود من طريق عبد الحميد بن بهرام عن شهر بن حوشب، عن ابن عباس، (في حديث طويل) ٣٥٦/١، ٣٥٧ (من مسند أبي داود الطيالسي).

وقال تعالى أيضا: (وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَتَّبِعِ إِسْرَءِيلَ يَلِإِي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَخَذْتُهَا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ^(١)).

ولقد بين الله سبحانه وتعالى: انه آتى أبناء إسرائيل وأحفاده الكتاب والحكمة، وفضلهم على عالمي زمانهم، ورزقهم من طيبات الدنيا لعلهم يشكرون نعم الله عليهم. قال تعالى (وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ^(٢)).

قال الإمام الرازي في تفسيره للآية السابقة: «المعنى: آتينا بني إسرائيل التوراة لتكون هداية لهم، ومنحناهم الحكمة والفقه في الدين وجعلنا النبوة في عدد كثير منهم، ورزقناهم من طيبات الأغذية والأشربة، وفضلناهم على من عاصرهم من الأمم^(٣)».

ولقد بين القرآن الكريم كذلك: أن سيدنا موسى عليه السلام هو الرسول الذي كلفه الله سبحانه وتعالى بمهمة تبليغ التوراة لبني إسرائيل، وأن موسى رسول مرسل من رب العالمين كسائر الرسل الذين أرسلهم الله لهداية خلقه، قال تعالى: (ثم بعثنا من بعدهم موسى بآياتنا إلى فرعون وملئه فظلموا بها فانظر كيف كان عاقبة المفسدين^(٤)).

قال ابن كثير: «ثم بعثنا من بعدهم، أي الرسل المتقدم ذكرهم، كنوح، وهود، وصالح، ولوط، وشعيب، صلوات الله وسلامه عليهم^(٥)».

وجاء في سورة الأعراف: (وَقَالَ مُوسَى يَنْفِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ

-
- (١) سورة الصف آية ٦
 - (٢) سورة الجاثية آية ١٦ .
 - (٣) تفسير الفخر الرازي : ٣٥٥/١ .
 - (٤) سورة الأعراف : آية ١٠٣ .
 - (٥) تفسير ابن كثير : ٤٠/٢ .

الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾ حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ قَدْ جُنْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿١١﴾.

ولقد بين الله سبحانه وتعالى كيف كان ابتداء الوحي إليه، قال تعالى: (وَهَلْ أَنْتَ حَدِيثُ مُوسَى ﴿٩﴾ إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدٍ عَلَى النَّارِ هُدى ﴿١٠﴾ فَلَمَّا أَنْهَا نُودِيَ بِمُوسَى ﴿١١﴾ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى ﴿١٣﴾ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴿١٤﴾).

كما بين سبحانه وتعالى تأييده لموسى بالمعجزات الحسية بجانب التوراة، قال تعالى: (وَمَا تَلَكَ يَمِينُكَ يَمِينُكَ يَمْوَسَى ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا وَاهْتَشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَنَازِبُ أُخْرَى ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقَهَا يَمْوَسَى ﴿١٩﴾ فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى ﴿٢١﴾ وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجَ بَيَضَاءً مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى ﴿٢٢﴾ لِنُرِيكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى) (٢٤).

(٤) قال ابن كثير في قوله تعالى حقيق على: «قال بعضهم: معناه حقيق بأن لا أقول على الله الا الحق، أي جدير بذلك وحري به، قالوا: والباء وعلى يتعاقبان، يقال: رميت بالقوس وعلى القوس. وقال بعض المفسرين: معناه حريص على أن لا أقول على الله الا الحق، وقرأ آخرون من أهل المدينة: حقيق على، بمعنى واجب وحق على ذلك، أن لا أخبر عنه إلا بما هو حق وصدق، لما أعلم من جلاله وعظم شأنه». تفسير ابن كثير ٤٠/٢.

(٢) سورة الأعراف: آية ١٠٤، ١٠٥.

(٣) سورة طه: آية ٩ - ١٣.

(٤) سورة طه: آية ١٧ - ٢٣.

قال ابن كثير في تفسيره: للآية: «من ها هنا شرع تبارك وتعالى في ذكر قصة موسى، وكيف كان ابتداء الوحي إليه، وتكليمه إياه، وذلك بعد ما قضى موسى الأجل الذى كان بينه وبين صهره في رعاية الغنم وسار بأهله قاصداً بلاد مصر. . قوله: أو أجد على النار هدى. . دل على أنه قد تاه عن الطريق. . فلما اقترب منها نودى يا موسى، إني أنا ربك الذي يكلمك ويخاطبك. . قوله: وأنا اخترتك لقوله: (إني اصطفتك على الناس برسالاتي وبكلامي) أي على جميع الناس الموجودين في زمانه». تفسير ابن كثير ٢: ٤٧٠، ٤٧١.

ولقد بينت السنة النبوية الشريفة كذلك : أن التوراة هي الكتاب المنزل على موسى ، ويدلنا على ذلك : الحديث الذي أخرجه الإمام ابن ماجة بسنده من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، يخبر عن النبي ﷺ قال : (احتج آدم وموسى ، فقال له موسى : يا آدم ، أنت أبونا خيبتنا ، وأخرجتنا من الجنة بذنبك!! فقال له آدم : يا موسى ، اصطفاك الله بكلامه ، وخط لك التوراة بيده ، أتلومني على أمر قدره الله عليّ قبل ان يخلقني بأربعين سنة؟ فحج آدم موسى ، فحج آدم موسى ، فحج آدم موسى) ثلاثاً^(١).

لقد اتضح لنا من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة : أن التوراة كتاب الله المنزل على رسوله موسى عليه السلام ، بل مدح الله سبحانه وتعالى التوراة في كثير من الآيات ، وبين أن فيها مواعظ وحكما نافعة . قال تعالى : (وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ)^(٢).

قال ابن كثير في تفسيره لهذه الآية : «أخبر الله تعالى بأنه كتب له في الألواح كل شيء ، موعظة وتفصيلا لكل شيء ، كتب له فيها مواعظ وأحكاما مفصلة ، مبينة للحلال والحرام ، وكانت هذه الألواح مشتملة على التوراة ، وقيل : الألواح أعطيها موسى قبل التوراة . والله أعلم»^(٣).

وقال تعالى أيضا : (اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴿٢﴾ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿٣﴾ مِنْ قَبْلُ هَدَى لِلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ)^(٤).

(١) أخرجه ابن ماجة في المقدمة ، باب في القدر : ٣١/١ ، ٣٢ .
حديث أبي هريرة أخرجه البخاري نحوه أيضا في كتاب التوحيد ، حديث رقم ٨٠ . قوله الله عز وجل (وكلم الله موسى تكليما) ٤٧٧/١٣ (من صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري) . ٥٠٥/١١ .

(٢) سورة الأعراف : آية ١٤٥ .

(٣) تفسير ابن كثير ٥٠/٢ .

(٤) سورة آل عمران : آية ٢ ، ٣ .

ولقد بين الله سبحانه وتعالى : أن كثيرا من اليهود رفضوا أخذ التوراة ، وبعضهم أبى أن يؤمن إلا بالمعجزات الحسية ، وأن معظمهم حرفوا التوراة وبدلوها ، وحذفوا منها الأشياء التي لا تتفق مع أهوائهم وبدعهم ، ولم يتحروا في تحملها وأدائها ، فكان سلوكهم هذا مدخلا لتحريف التوراة وتبديلها .

تبين لنا آيات القرآن الكريم أن بعض اليهود قد رفضوا الإيمان بالتوراة وقالوا لموسى : لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة : وهذا بالطبع يرجع إلى شكهم في حقيقة الألواح ، وعدم وثوقهم بكلام موسى عليه السلام .

بين لنا القرآن الكريم كذلك : أن بعض اليهود حرف التوراة وبدلها كي تتفق مع أهوائهم ، قال تعالى في شأنهم : (أَفَنَظْمُعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ)^(١) .

نقل ابن كثير أقوال العلماء في الآية ، ومنها : قول السدي : هي التوراة حرفوها . وقال ابن زيد في قوله تعالى : (ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون) : هم اليهود كانوا يسمعون كلام الله ، ثم يحرفونه بعد ما عقلوه ، يجعلون الحلال فيها حراما ، والحرام فيها حلالا ، والحق فيها باطلا ، والباطل فيها حقا^(٢) .

قال الله سبحانه وتعالى أيضا في شأن تحريفهم للتوراة : (وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاء بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قُرْآنًا يَبْدُونَهَا وَيُخْفُونَ كَثِيرًا وَعِلْمُكُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ)^(٣) .

قال ابن كثير : « أنزل الكتاب الذي جاء به موسى - وهو التوراة - التي قد علمتم وكل أحد : أن الله قد أنزلها على موسى بن عمران (نورا وهدى للناس) ، أي ليستضاء بها في كشف المشكلات ، ويهتدى بها في ظلم الشبهات ، (تجعلونه قراطيس . .) : أي تجعلون جملتها قراطيس ، أي قطعا تكتبونها من الكتاب الأصلي

(١) سورة البقرة : آية ٧٥ .

(٢) تفسير ابن كثير : ٨٠/١ .

(٣) سورة الأنعام : آية ٩١ .

الذي بأيديكم، وتحرفون منها ما تحرفون، وتبدلون وتتأولون، وتقولون: هذا من عند الله، أي في كتابه المنزل، وما هو من عند الله^(١). ولقد بينت لنا السنة النبوية كذلك: أن اليهود حرفوا التوراة وبدلوها، وبدلنا على ذلك الحديث الذي أخرجه البخاري بسنده من حديث ابن عباس، أنه قال: كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء، وكتابكم الذي أنزل على رسول الله ﷺ أحدث، تقرأونه محضاً لم يشب؟ وقد حدثكم أن أهل الكتاب بدلوا كتاب الله وغيروه، وكتبوا بأيديهم الكتاب، وقالوا: هو من عند الله، ليشتروا به ثمناً قليلاً، لا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم، لا والله ما رأينا منهم رجلاً يسألكم عن الذي أنزل عليكم^(٢).

وهكذا أنكر بعض اليهود التوراة التي أنزلها الله تعالى لهدايتهم، وجحدوا بنعمة الله عليهم، وقبلها بعضهم، ولكنه لم يتحر الدقة في ضبط كتاب الله، وتحمله وأدائه، كما رأينا سابقاً، فاضافوا إلى التوراة كثيراً من البدع والأهواء الشخصية ولم ينتفعوا بما فيها من شرائع، لذلك قال تعالى في وصفهم: (مَثَلُ الَّذِينَ خُمِلُوا النَّورَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ابْتَسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ)^(٣).

ثالثاً: مدى الثبوت في قبول الأخبار وروايتها عند النصارى

١ - أصل الإنجيل كما يراه النصارى:

يعتقد النصارى: بأن الإنجيل^(٤) هو الأقوال والأمثال التي كان يدلي بها عيسى لحوارييه وأتباعه حال حياته على الأرض، وهم يضيفون إلى ما سبق الأحداث التي أحاطت بعيسى وحوارييه في ذلك الزمان.

(١) تفسير ابن كثير: ٥٩٨/١ - ٥٩٩.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب: الاعتصام بالكتاب والسنة باب: لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء ٣٣٣/١٣، ٣٣٤ (من صحيح البخاري بشرحه فتح الباري).

(٣) سورة الجمعة: آية ٥

(٤) إن كلمة إنجيل تعني باللغة العبرية والسامية القديمة: الأخبار السارة، أو البشرى السارة

Good News

انظر The New Caxon Encyclopedia Vol 9 P. 2777

ويعتقد النصارى: أن أصل الإنجيل موجود في تنبؤات العهد القديم عند اليهود، ويتمثل ذلك في العبارات الموجودة في تلك الأسفار التي تتحدث عن مجيء المخلص والمنقذ والفادي الذي سيأتي بالميثاق الجديد^(١).

ويطلق النصارى اسم الإنجيل على أربعة كتب، وينسبونها لأربعة من المؤلفين وهم: مرقص Mark، ومتى Mathew، ولوقا Luke، ويوحنا John، وهم يطلقون على أنجيل كل من مرقص ومتى ولوقا: اسم الأنجيل السنوبيتيكية^(٢)، وهم يعتبرونها الأنجيل الأولى في المسيحية، ثم يلحقون بها إنجيل آخر: وهو إنجيل يوحنا.

ويضم النصارى أيضا إلى هذه الأنجيل بعض الرسائل والأحداث التي يعتبرونها تاريخية ومهمة. ويسمون الأنجيل وملحقاتها من رسائل بأسفار العهد الجديد.

ويعتقد النصارى: بأن مؤلفي الأنجيل والرسائل والأحداث معصومون من الخطأ، لأنهم كتبوا مؤلفاتهم بوحى من الروح القدس، ويدلنا على ذلك ما كتبه ادوارد بونج في كتابه المسمى بالكتاب المقدس في الميزان: «وإذا ذكرنا أن مجموعة أسفار الكتاب المقدس كتبها كتاب مختلفون - وهم رجال متباينو - الثقافة، وعاشوا في عصور مختلفة ما بين ألف وخمسمائة وألفين من الأعوام، وعلى مثل هذا التوافق العجيب - فإنه ليس هناك تصور آخر يمكن أن يخالج النفس سوى أنهم منقادون بروح الله عندما كتبوها»^(٣).

(١) وهم يقصدون بالميثاق الجديد: أسفار العهد الجديد، ويظنون أن الله قد أبداهم هذه الأسفار بالعهد والمواثيق القديمة مع بني إسرائيل.

انظر كتاب: New Testament Survey PP. 123, 124.

(٢) إن كلمة سنوبيتيك Synoptics كلمة يونانية الأصل، وهي تتكون من شقين: سين Syn، وهي تعني باليونانية، سويا أو معا.

وابتنوميا Optanomia وهي تعني باليونانية: يرى أو يشاهد. ولقد سميت تلك الأنجيل بالسنوبيتيكية، لأنها تحمل آراء عامة عن حياة السيد المسيح، يرى النصارى: أن تلك الآراء التي تحملها الأنجيل السنوبيتيكية تتشابه في كثير من الوجوه، على الرغم من الخلاف الظاهر بينها في كثير من الأقوال. انظر: The Dictionary of Christ and the Gospel

2 : 163.

The New Caxon Encyclopedia Vol. 9 P. 2778

(٣) الكتاب المقدس في الميزان: ٦٨ - ٧٤.

وتحت عنوان الكتاب البشريون للكتاب المقدس يقول: «من أهم الدراسات اللازمة في عقيدة الوحي: ما أطلقنا عليه في اللغة المبسطة: الجانب البشري في الكتب المقدسة. قال الرسول بطرس: تكلم أناس الله القديسون مسوقين من الروح القدس، أو محمولين بالروح القدس. فالكتاب البشريون ليسوا إلا مجرد حملة أقلام يتحركون تحت قيادة الروح القدس»^(١).

ويعتبر النصارى الأناجيل التي جمعها المؤلفون كتابا سماويا مقدسا صادرا من الله، وهو أملاه بالإلهام على هؤلاء المؤلفين المؤيدين بروح القدس، ويظن النصارى: أن المؤلفين من حواربي عيسى بن مريم عليه السلام. ولكن النصارى لم يقصروا تأييد روح القدس على الحواريين فقط، بل ظهر من تاريخهم أن تأييد روح القدس قد شمل غيرهم من أصحاب المجمع المختلفة، بل إنهم يزعمون بأن روح القدس لا يزال يؤيد بآبوات الكنائس حتى عصرنا الحاضر، مما يبيح لهم أن يبدلوا وأن يعدلوا، وأن يطوروا في الكتاب المقدس حسب أهوائهم، أو حسب ما يتوافق بزعمهم مع روح العصر.

ويتضح لنا هذا مما فعله^(٢) بابوات الكنائس الأمريكية في القرن العشرين من تغيير بعض نصوص الإنجيل كيما تتوافق مع متطلبات بعض النصارى في القرن العشرين.

من هنا نستنتج: أن النصارى يعترفون بأن الإنجيل في أصله كتاب سماوي مقدس، جاء به عيسى بن مريم عليه السلام، لكنه قد تبدل وتعديل وتطور وتحور على مر العصور، لأنهم قاموا بهذا التحريف والتعديل والتطوير عامدين، بحجة أن سيدنا عيسى عليه السلام قد أمرهم بتبليغ الإنجيل إلى مختلف الأمم، وأنه لا يمانع في تطوير الإنجيل بما يتوافق مع مقتضيات العصر، ومع ثقافات الأمم المختلفة، وهم يزعمون أن عيسى عليه السلام وعد أن يكون حاضرا معهم، وملهما لهم، ومسددا لخطاهم في كل الأوقات، مستندين إلى ما جاء في إنجيل متى من قول

(١) الكتاب المقدس في الميزان: ٧٦، ٧٥

News Week - October 24/1982, P - 49.

(٢)

منسوب لعيسى فيه : (اذهبوا الآن وتلمذوا كل الأمم ، معمدين إياهم باسم الأب والابن والروح القدس ، وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به ، وها أنا معكم كل الأيام إلى منتهى الدهر)^(١).

ولهذا فإن النصارى قد اعتبروا أن مصادر التشريع متعددة ، فبجانب الإنجيل توجد مصادر أخرى للتشريع ، كقوانين الرسل ، وهي تعاليم وكتابات معتمدة لدى كثير من الطوائف المسيحية . ويوجد مصدر آخر للتشريع ، وهو قرارات المجامع ، أو بمعنى أصح : الآراء التي يضيفها بابوات الكنيسة للدين المسيحي في تجمعاتهم المختلفة عبر القرون .

إن هذه المصادر المتعددة التي ارتضاها النصارى للتشريع في الديانة المسيحية - دون تثبيت أو تمحيص عن مدى أصالتها - هي المدخل الذي أدى إلى تشويه العقيدة المسيحية وتحويلها تدريجيا من عقيدة مبنية على التوحيد - كما جاء بها عيسى عليه السلام - إلى عقيدة وثنية ، قال في ذلك د/ عبدالكريم الخطيب : « فقد تدرجت المسيحية بالمسيح خطوة خطوة ، من إنسان يشبه يوحنا المعمدان - يحى بن زكريا - إلى إنسان فوق الناس ، ودون الملائكة ، كما يقول عنه بولس^(٢) في رسالته إلى العبرانيين ، إلى كلمة الله ، ثم إلى ابن الله ، ثم إلى الله ذي الثلاثة أقانيم ، بل لقد وصلت المسيحية بالتجسيد إلى أنه لذات الله ، أو المسيح الذي هو الله »^(٣).

(١) متى ٢٨ : ١٨ ، ١٩ من الكتاب المقدس العهد الجديد : ٥٦ .
(٢) يزعم بولس في رسالته إلى العبرانيين : بأن الله تعالى قال : « نقصته عن الملائكة قليلا ، وكللته بالمجد والكرامة . . وإنما نرى يسوع مكللا بالمجد والكرامة وقد نقص عن الملائكة قليلا » .

من رسالة بولس إلى العبرانيين ٢ : ٧ - ٩ من الكتاب المقدس العهد الجديد : ٣٨٥
(٣) المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل : ١٤٠
لمزيد من المعلومات في هذا الشأن ارجع إلى كتاب :

Creeds of the churches, pp. 1 - 55.

٢ - رهبان النصارى وأثرهم في تحريف الإنجيل .

كان لشعور رهبان النصارى بأن روح^(١) القدس يدعمهم عند حفظ الإنجيل وكتابته وتبليغه للناس أثر بالغ في تحريف إنجيل السيد المسيح ، بل وفي ضياعه ، وأن الزعم بأن روح القدس هو المؤيد لهم أدى إلى الخلط بين أقوال عيسى الرسول ، وبين أقوال رهبان النصارى ، حتى صعب على علماء البحث والتنقيب عن أصل الديانة المسيحية - في القرن الثامن عشر الميلادي وما بعده - التمييز بين أقوال صاحب الرسالة الأصلية وبين أقوال بابوات الكنائس .

إن تناقض متون الأناجيل والأخطاء الفاحشة فيها تدل على أن مؤلفي الأناجيل مشتتو الأفكار ، وموزعو الأهواء ، متنافرون ، مما يدل على أنهم لم يلتق بعضهم ببعض ، أو لم يعيشوا في عصر واحد . وعلى الرغم من اعتراف علماء اللاهوت والرهبان بتناقض متون الأناجيل إلا أنهم حتى اليوم يصرون بأنهم منقادون بالروح القدس ، يدلنا على ذلك ما قاله إدوارد جي بونج : «إن الله عندما أعلن كلمته استخدم الوسيلة البشرية ، لقد كان الرجال الذين استخدمهم الله رجالا قديسين عرفوا إلههم وأحبوه ، وليس معنى هذا أنهم لم يخطئوا ، لقد كانوا خطاة ، وبعضهم أخطأ على نحو رهيب ، إن داود عليه السلام - قد ارتكب من الخطايا ما لا يكاد يغفر ، ولكنه مع ذلك كان واحدا ممن كلمهم الروح . لقد كان كتاب الكتاب المقدس خطاة كغيرهم ، ولكن رغم خطاياهم فهم أحبوا الله ، واستخدمهم الله في إنشاء كتابه . فإذا تحولنا إلى العهد الجديد ، رأينا الأمر ذاته ، إذ اختلف الكتاب البشريون بعضهم عن بعض إختلافا عظيما ، بل لقد بدا كما لو أن الله اختار أناسا معينين ليكتبوا أجزاء معينة من كلمته»^(٢) .

ثم نراه يتوصل إلى النتيجة التالية : «إن كُتَّاب الكتاب المقدس كانوا يتلقون

(١) يعتقد رهبان النصارى : أن المسيح قبل صلبه أعطى رهبان النصارى السلطة المطلقة للتصرف في الإنجيل ، وأستندوا على ذلك بالآتي : «كما أرسلني الأب كذلك أنا أرسلكم . ولما قال هذا نفخ فيهم ، وقال لهم : خذوا الروح القدس ، من غفرتم خطاياهم تغفر لهم ، ومن أمسكتكم خطاياهم أمسك لهم» .

يوحنا ٢٠ : ٢١ - ٢٣ من الكتاب المقدس

العهد الجديد : ١٩٧ .

(٢) الكتاب المقدس في الميزان : ٧٨ - ٨٠

الوحي فقط وهم يكتبون أسفاره الإلهية المقدسة، ولم يعصمهم الوحي من أن يكونوا طينة أخرى غير طينة البشر... إن الكتاب المقدس كلمة الله، وفي الوقت نفسه هو عمل الناس»^(١).

وبين لنا الكاتب جوشيا رويس في كتابه «مشكلة المسيحية» أثر رهبان النصراني في تحريف الإنجيل - عندما تناول سيرة الأب بولس - قائلاً: «إن المؤسس الحقيقي للمسيحية، هو بولس الرسول، ولقد كان بولس يهودياً يكره النصراني، وفجأة أثر رؤيا رآها اعتنق المسيحية، وصار من أبرز دعاة: إن بولس لم ير المسيح حال حياته إطلاقاً، ولكنه رأى الإله الذي هزم الموت، لذلك فإن روح القدس دعمه وسانده في كتابة رسائله التاريخية المشهورة. ولقد ابتدع بولس أفكاراً في الديانة المسيحية، أفكاراً لم يأت بها المسيح، لذلك أرى أنه هو المؤسس الحقيقي للمسيحية التي نعرفها اليوم»^(٢).

وعلى الرغم من زعم بولس بأنه رسول عيسى، فإنه لم يصن أقوال السيد المسيح، وإن سيرته وأقواله تدلان على ذلك، ويوضح الدكتور أحمد شلبي^(٣) ادعاء

(١) المرجع السابق : ٩٥

(٢) The Problem of Christianity Vol. 1 - P. 29

نجد أن الأب بولس نفسه يعترف بذلك في رسالته إلى أهل غلاطية، حيث قال : «فإنكم قد سمعتم بسيرتي قديماً في ملة اليهود، كيف كنت اضطهد كنيسة الله إلى الغاية وأدمرتها» .

رسالة بولس إلى أهل غلاطية ١ - ١٢

من الكتاب المقدس العهد الجديد ٣٢٨

وجاء في سفر أعمال الرسل الملحق بإنجيل لوقا ما يلي : «وكان شاول لا يزال يقذف تهديداً وقتلاً على تلاميذ الرب. فأقبل إلى رئيس الكهنة وطلب منه رسائل إلى دمشق، إلى المجمع، حتى إذا وجد إناساً من هذه الطريقة رجالاً أو نساء يسوقهم موثقين إلى اورشليم) سفر أعمال الرسل ٩ : ١ ، ٢ من الكتاب المقدس العهد الجديد : ٢١٨ ولقد شهد بولس في رسالته الأولى لأهل غلاطية على نفسه بأنه لم ير السيد المسيح إطلاقاً، حيث قال : «وأعترفكم أيها الأخوة: أن الإنجيل الذي يبشر به على يدي لم يعلمنيه إنسان، لأنني لم أتسلمه أو أتعلمه من إنسان، بل بوحى يسوع المسيح» .

رسالة بولس إلى أهل غلاطية ١ - ١١ - ١٢ من الكتاب المقدس العهد الجديد : ٣٢٧ ، ٣٢٨ .

(٣) مقارنة الأديان ١٠٧

للمزيد من المعلومات في هذا الشأن اقرأ بولس في كتاب :

The Problem of Christianity, Vol. 1. PP. 39 - 42

بولس صراحة بأنه الشخص الوحيد الذي ائتمنه السيد المسيح على المسيحية الحقة، ويرفض ائتمان المسيح لأي شخص معه، مما يشكك كل من يتبعه في الأقوال الموجودة لدى أي مدع آخر يدعي تأييد روح القدس له، وهذا مما يشكك في أصالة الأناجيل الأربعة.

نجد كذلك أن الشك يحيط بمدى أصالة الأناجيل ويكون مؤلفيها من حواربي عيسى عليه السلام وبتاريخ تدوين هؤلاء المؤلفين للأناجيل، يقول الشيخ محمد أبو زهرة متشككا في أصالة الأناجيل: «ولقد ذكر بعض المؤرخين أنه لم توجد عبارة تشير إلى وجود أناجيل متى ومرقص ولوقا ويوحنا قبل آخر القرن الثاني، وأول من ذكر هذه الأناجيل الأربعة أرينيوس في سنة ٢٠٩ م، ثم جاء من بعده كلمنس اسكندريانوس في سنة ٢١٦ م، وأظهر أن هذه الأناجيل الأربعة واجبة التسليم، ولم تكتف الكنيسة باختيار هذه الأناجيل الأربعة، بل أرادت للناس قبولها، لاعتقادها بصحتها ورفض غيرها، وتم لها ما أرادت، فصارت هذه الأناجيل هي المعتبرة دون سواها»^(١).

٣ - عدم تحمل رهبان النصارى للإنجيل وأثر ذلك على الملة المسيحية:

لقد تبين لنا مما سبق أن رهبان النصارى لم يولوا إنجيل السيد المسيح أي عناية، بل زعموا بأنهم يستطيعون أن يضاهوه بأقوالهم، ويدخلوا فيه ما يحلو لهم، ويحذفوا منه ما يشاءون، مما أدى إلى انقسام النصارى إلى طوائف وفرق عديدة بين موحد لله مؤمن ببشرية المسيح، وبين منكر للتوحيد مؤله للمسيح.

كما تنازع النصارى أيضا حول حادثة الصلب والقيام، حتى صارت حادثة الصلب والقيام هي المحور الذي ارتكز عليه بعض الفرق والطوائف المسيحية حول حقيقة المسيح والمسيحية، فانقسمت المسيحية إلى طوائف وفرق عديدة، وكانوا مختلفي الآراء.

منهم من يقول: إن المسيح ومريم إلهان مع الله، وهم فرقة المريمانية.
ومنهم من يقول: إن المسيح والله يكونان شيئا واحدا، وإن المسيح انبثق^(٢) عن

(١) محاضرات في النصرانية: ٤٣ لمزيد من المعلومات في هذا الشأن ارجع إلى كتاب: Creeds of the churches.

(٢) تاريخ ابن البطريق ٢ : ١١٤ - ١١٧.

الله كانبثاق شعلة النار عن الأخرى، دون أن تؤثر فيها أو تنقص منها، وهم أتباع سباريون.

ومنهم من يقول: إن عيسى هو كلمة الله، وهم أتباع (إليان).

ومنهم من آمن بأن المسيح له طبيعتان: طبيعة بشرية، وطبيعة إلهية، أو اعتقد بأن الله واحد لكن يسمى بثلاثة أسماء، وهم أتباع بولس الشمساطي.

ومنهم من يقول بمقالة الأب بولس، وهي: إن الله هو المسيح ابن مريم.

إن إنقسام النصارى إلى طوائف وفرق أدى إلى احتدام الصراع والنزاع بينهم، وإلى تكفير بعضهم بعضا. ولكي يدعم كل فريق موقفه أصبح يختلق الآيات والنصوص التي يضيفها إلى الإنجيل ليثبت أصالته وتفوقه على أقرانه من الفرق الأخرى، ولقد أدى هذا الصراع في النهاية إلى إبادة فرق التوحيد، مثل: فرقة البوليانية، والآريوسية، وغيرها، كما جاء في تاريخ ابن البطريق: «لقد كفر النصارى الأب بولس الشمساطي وفرقه التي كانت تسمى بالبوليانية... ومقالته التي كفر بها: أنه كان يؤمن بأن الله جوهر واحد، وأقنوم واحد، ولا يؤمن بالكلمة ولا بروح القدس.

وبعد موته اجتمع ثلاثة عشر أسقفا في مدينة إنطاكية، فنظروا في أمره وفي مقالته، وأوجبوا عليه اللعنة، ولعنوا من يقول بمقالته»^(١).

ويقول ابن البطريق أيضا: «وكان بالإسكندرية رجل كافر، يقال: له آريوس. يقول: إن الأب وحده هو الله، والابن مخلوق مصنوع، وكان الأب إذ لم يكن الابن، فقال بطرس - بطريرك الاسكندرية في ذلك الوقت لتلميذه أشيلا والإسكندروس - إن السيد المسيح لعن آريوس فاحذروا أن تقبلوا، فإني رأيت المسيح في النوم مشقوق الثوب، فقلت له: ياسيدي، من شق ثوبك، فقال لي: إنه آريوس، فاحذروا أن تدخلوا معكم في الكنيسة»^(٢).

إعتمادا على ادعاء بطرس كفر بابوات الكنيسة آريوس، ولعن وطرده من الكنائس، ثم تأمر البابوات مع الإمبراطور قسطنطين لاستئصال آريوس وفرقه،

(١) (٢) تاريخ ابن البطريق ٢ : ١١٤ - ١١٧.

وتم لهم ما أرادوا في مؤتمر عقدوه ببنقية عام ٣٢٥ م، وفي هذا المؤتمر تم اعتماد الأناجيل الأربعة المعروفة لدى النصارى اليوم من بين عشرات الأناجيل، وأحرقت الأناجيل الأخرى التي تخالفها في الرأي.

عما لا شك فيه: أن عدم صيانة رهبان النصارى للإنجيل أدى إلى ضياع عقيدة التوحيد السمحة وإنكارها، واستبدال فكرة الثالوث بها. ومما يدل على أن فكرة الثالوث فكرة مبتدعة: أن هذه الفكرة لم تكن مقبولة لكثير من النصارى في بادئ الأمر، بل لم تكن معروفة إطلاقاً لبعضهم الآخر، يقول في ذلك السيد عبد الكريم الخطيب: «نجد أن الصورة التي رسمها القرار - قرار مجمع نيقية - للألوهية ينقصها الوجه الثالث من وجوه التثليث، وهوروح القدس، فالإيمان الذي يبشر به هذا القرار هو إيمان بالأب والابن فقط. ونستطيع أن نتخذ من هذا القرار وثيقة تاريخية محققة، للقول: بأن التثليث المسيحي لم يكن معروفاً إلى سنة ٣٢٥ م، ولم يعترف المؤتمر المنعقد في هذا العام بغير الأب والابن!! كما نستطيع أن نقرر أيضاً: أنه إلى ذلك الحين لم يكن المسيح قد دخل ببنته في شركة مع الله على هذا النحو الذي يجعل منه (الله) مندمجاً في إقنومية الآخرين مع الأب وروح القدس... إن المسيحية إلى ما بعد منتصف القرن الرابع لم تكن قد استكملت حقيقتها بعد، وما زال موقف المسيح متأرجحاً مضطرباً بين الإله والإنسان»^(١).

ولقد كانت هناك فرق في القرن الثاني الميلادي تنكر فكرة قيام المسيح ثانية، ويقولون: بأن القيام شبه لبعض النصارى فتمسكوا به على أنه حقيقة ثابتة. يقول في ذلك جوش مكديويل: (أما حديث جستين مارتن عن القيامة (١٠٠ - ١٦٥) فهو دفاع عن العقيدة المسيحية، وكان معاصروه يقولون: إن القيامة مستحيلة، بل إنها غير معقولة. وكان المعاصرون يقولون: إن قيامة المسيح شبهت لهم)^(٢).

(١) المسيح في التوراة والقرآن والإنجيل : ٢٢٨ - ٢٢٩.

إن تأليه روح القدس كان عام ٣٨١ م، وذلك في مؤتمر القسطنطينية المرجع السابق : ٢٥١.

للمزيد من المعلومات في هذا الموضوع يمكن الرجوع إلى :

Creeds of The Churches, PP : 28 - 31

Early Christian Doctorines PP : 142 - 144.

(٢) برهان يتطلب قراراً : ٢٢٨ ، ٢٢٩.

ولقد شذ كثير من الرهبان أمثال البرت شواتزر^(١)، وأنكر أن تكون شخصية المسيح شخصية حقيقية، وقال: بأن الديانة المسيحية ما هي في حقيقتها إلا ديانة انبنت على الوهم واستمرت فيه.

إن عدم تحمل رهبان النصارى للإنجيل أوقع رهبان وفلاسفة الدين المسيحي في الحيرة والارتباك والخروج عن الديانة المسيحية في كثير من الأحيان، وكذلك رأينا أن عدم تحمل رهبان النصارى للإنجيل وأدائه أدى إلى تحول الملة المسيحية من ديانة التوحيد إلى ملة وثنية تشرك بالله ما لم ينزل به سلطانا.

٤ - أثر البيئة الاجتماعية في تحريف الإنجيل:

لقد اعترف علماء اللاهوت في الغرب بأن البيئة الاجتماعية كان لها أثر كبير في تشكيل الأنجيل وبقية أسفار العهد الجديد، ومن أمثلة ذلك ما أورده هاوارد مارشال في

The Fourth Gospel in Recent Criticism and Interpretation.

«إن يوحنا صاحب الإنجيل الرابع كان متأثرا بفكرة «اللوجوس» عند اليونان وبفكرة تجسيد الآلهة التي كان يؤمن بها الرومان، لذلك نراه يدخل تلك الأفكار في الديانة المسيحية، وهو الذي جعل عيسى أزلما مع الله و«متحدا فيه»^(٢).

ويقول بارينز تاتوم في كتابه The Quest of Jesus : «إن بولس كان يتمتع برهافة الحس، وكان من اليهود المتحررين الذين لا يمانعون من تطوير الديانة اليهودية حسب مقتضيات البيئة والظروف الاجتماعية، وذلك من أجل إنعاش الديانة المسيحية وتجديدها.

إن خلفيات بولس الفلسفية قد أثرت في فهمه لرسالة السيد المسيح، وفي ترجمة تلك الرسالة وإعادة صياغتها بما يتوافق مع الأفكار الفلسفية والتوجيهات الثقافية التي كانت سائدة في ذلك العصر.

وعلى الرغم من محاولة بولس ربط الفلسفة بالدين، إلا أنه كان مضطربا في أفكاره ومواقفه الفلسفية، فتراه مرة يصرخ بأن عيسى هو ابن الإله الواحد،

اقرأ كتاب : 71 In the Quest of Jesus

(١)

The Fourth Gospel in Recent Criticism and Interpretation : 293.

(٢)

«يهوى»، إله اليهود، ومرة يقول: إن يهوى نفسه جاء وتجسد في صورة عيسى، ومرة أخرى يقول: إن عيسى لم يكن مساوياً للإله في ألوهيته على الرغم من سمو قدره، ثم يعود فيقول: بأن عيسى إله كامل في ألوهيته»^(١).

لقد تأثرت الأناجيل كذلك برؤى وأحلام المؤلفين، حيث كان الرهبان يعاملون الرؤى معاملة الواقع، ويدلنا على ذلك ما أورده جوستاف أولين في كتابه Jesus^(٢) حيث قال: «إن معظم الأحداث التي سجلت بالأناجيل استقاها أصحاب الأناجيل من رؤاهم وأحلامهم، زاعمين بأن المسيح خاطبهم أثناء نومهم وأمرهم بتسجيل تلك الأقوال، وبالتالي أصبحت تلك الرؤى والأحلام أساساً للمسيحية التي نعرفها في الغرب اليوم، وتقول بعض الأبحاث: إن تلك الرؤى استمرت تنهال على الحواريين وغيرهم في فترة الأربعين يوماً الأولى بعد صعود عيسى»^(٣).

وهكذا يتضح لنا من الأقوال المذكورة سابقاً: أن النصراني في فترة المسيحية الأولى كانوا يؤمنون إيماناً عميقاً بما يرون في أحلامهم، وكانت الرؤى لديهم بمثابة الحقائق الثابتة، وأنهم استندوا على الرؤى حتى عند اختيارهم لمن سيخلف البابا في منصبه، ويتضح ذلك من سير البطارقة حيث قال سيبولد: «وعند وفاة بوليانيوس البطرك جاء إليه ملاك الرب في منامه ليلة وفاته وقال له: الذي يدخل لك في غد بعنقود عنب هو البطرك بعدك، فلما أصبح جاء إليه رجل فلاح يحمل عنقود عنب... فقال بوليانيوس البطرك للشعب: هذا بطركم، كما قال لي ملاك الرب البارحة، فأخذه قهراً وقيدوه بقيد حديد... وحلت عليه النعمة الإلهية، وصار خليفة لبوليانيوس في مصر»^(٣).

ويمكننا كذلك أن نقول: بأن الفلسفات والديانات القديمة كان لها أثر كبير في تشكيل القصص والأمثال والحكم المسطرة في الأناجيل، فمفهوم الإله الذي من ثلاثة أقانيم كان سائداً عند الأمم التي كانت تحيط بالمسيحية، يقول في ذلك الدكتور أحمد شلبي: «قبل ظهور المسيح كانت هناك معابد كثيرة تقدس عدداً كبيراً من الآلهة، فهناك مثلاً أبلو الذي كان يقده الإغريق، وهيروكوليس إله الرومان،

The Quest of Jesus : 100

Jesus P.P. 128, 129.

(١)

(٢)

(٣) سير الآباء البطارقة : ٢٦ .

ومثرا معبود الفرس، وأدونيس معبود السوريين، وأوزوريس وإيزيس وحورس معبودات المصريين، وبعل معبود البابليين، وسواهم كثيرون، وكانت هذه الآلهة تعتبر كلها من نسل الشمس، وفي هذه الأديان أو أكثرها توجد المعتقدات الآتية :

- كل هذه الآلهة ينسب لها أنها ولدت في نفس الفترة، أو الشهر، أو الموسم الذي ينسب لعيسى أنه ولد فيها.

- كل هؤلاء ولدوا في كهف تحت الأرض.

- كلهم عاشوا حياة فيها عناء من أجل الجنس البشري.

- كلهم كانوا ينعنون بالمخلص والمنقذ الوسيط.

- كلهم قهروا بقوى الشر والظلام.

- ألقى بهم بعد هزيمتهم في المدافن والنيران السفلى.

- هبوا جميعا من مدافنهم بعد الموت، وصعدوا إلى عالم السماء.

- أرسوا جميعا حلفاء لهم ورسلا ومعابد.

ويتضح لنا: أن المسيحية اقتبست كل هذه المعتقدات^(١).

ولقد أثرت العوامل السياسية أيضا في تحريف الديانة المسيحية، وتدلنا على ذلك قصة اعتماد الأناجيل الأربعة في مؤتمر نيقية عام ٣٢٥ م، بأمر من الإمبراطور قسطنطين وحلفائه، إيمانا منهم بفكرة تأليه البشر، وكذلك نراهم يؤلهون عيسى عليه السلام وينكرون بشريته الكاملة.

ويمكننا أيضا أن نستنتج: أن النصارى استمروا في تأثرهم بالبيئة واقتباسهم منها بما حدث في القرون الوسطى^(٢) للمسيحية، حيث كان الدجل والشعوذة هما الطابع المميز لتلك الفترة من العصور المظلمة في أوروبا، ولقد شجع البابا جروجري الأول - والذي تسلم كرسي البابوية بروما في القرن السادس الميلادي - المشعوذين والدجالين، بحجة أنهم يستطيعون أن يأتوا بمعجزات شبيهة بمعجزات السيد المسيح، وفي عهد جروجري انتشرت المسيحية عن طريق الشعوذة والدجل في معظم

(١) مقارنة الأديان المسيحية : ١٧٦ - ١٧٧.

فيما يختص بهذا الموضوع انظر الفصل الأخير من كتاب The Problem of Christianity Vol.

1.

(٢) في هذا الشأن انظر كتاب : A Source Book For Medieval History PP. 85 - 86.

البلدان المجاورة لروما، حتى صارت الشعوذة والدجل الطابع المميز للديانة المسيحية في القرون الوسطى .

هـ - أصل الإنجيل في القرآن الكريم والسنة الشريفة :

إن الإنجيل كما هو معروف لدى المسلمين : هو كتاب أنزله الله سبحانه وتعالى على سيدنا عيسى بن مريم عليه السلام ، ليحكم به في بني إسرائيل وليوجههم به إلى الحق بعد أن ضلوا عنه ، قال تعالى : (اَلَمْ يَأْتِهِمُ الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ) (١) مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ) (٢) .

قال الإمام الرازي في تفسيره للآية : « فأعلم أنه تعالى أنزل التوراة والإنجيل قبل أن ينزل القرآن ثم بين أنه إنما نزلها هدى للناس ، والمراد بالفرقان المعجزات التي قرنها الله تعالى بإنزال هذه الكتب حتى يحصل الفرق بين دعواهم وبين دعوى الكذابين .

فلما أظهر الله تعالى على وفق دعواهم تلك المعجزات ، حصلت المفارقة بين دعوى الصادق ودعوى الكاذب ، فالمعجزة : هي الفرقان .

فلما ذكر الله تعالى أنه ينزل الكتاب بالحق ، وأنه أنزل التوراة والإنجيل من قبل ذلك ، بين أنه تعالى أنزل معها ما هو الفرقان الحق ، وهو المعجز القاهر الذي يدل على صحتها ، ويقيد الفرق بينها وبين سائر الكتب المختلفة » (٣) .

ولقد بينت السنة النبوية الشريفة كذلك : أن الإنجيل كتاب منزل من عند الله في الحديث الذي أخرجه الإمام الترمذي بسنده ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : «جاءت فاطمة إلى النبي ﷺ تسأله خادماً ، فقال لها : قولي : اللهم رب السموات السبع ورب العرش العظيم ، ربنا ورب كل شيء ، منزل التوراة والإنجيل والقرآن فالحق الحب والنوى . . . الحديث » (٣) .

(١) سورة آل عمران : ٣

(٢) تفسير الفخر الرازي ١٧٣/٧ ، ٢٣/١٣ .

(٣) أخرجه الترمذي في أبواب الدعاء ١٣/٢٣ من سنن الترمذي بشرحه عارضة الأحوي وقال : هذا حديث حسن غريب .

إن الله سبحانه وتعالى اختار عيسى بن مريم من بيت آل عمران ، وكلفه بمهمة تبليغ الإنجيل لبني إسرائيل . ولقد رمى اليهود أمه بالزنى لولادته بدون أب ، لكن الله سبحانه وتعالى برأ أمه ، وبين لليهود أن مولده كان معجزة وآية من آيات الله . قال تعالى : (وَكَفَّرَهُمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا)^(١) .

قال الرازي في تفسيره للآية : « كما نسب اليهود مريم إلى الزنى لإنكارهم قدرة الله تعالى على خلق الولد من دون الأب ، صار هذا الطعن بهتاناً عظيماً ، لأنه ظهر عند ولادة عيسى عليه السلام من الكرامات والمعجزات ما دل على براءتها من كل عيب ، نحو قوله : (وَهَؤُلَاءِ إِلَيْكَ يَجِدُكَ النَّحْلَ سَقِطَ عَلَيْكَ رُطْبًا جَنِيًّا)^(٢) . ونحو كلام عيسى عليه السلام حال كونه طفلاً منفصلاً عن أمه ، فإن كل ذلك دلائل قاطعة على براءة مريم عليها السلام من كل ريبة »^(٣) .

ولقد بين القرآن الكريم بشرية عيسى واشتراكه مع سائر خلق الله في عبادة الله الواحد ، قال تعالى (إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ . وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا)^(٤) لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا)^(٥) .

وفي هذه الآية هدم لجميع مباني النصارى التي بنوها حول تأليه المسيح ، ودعوتهم إلى تنزيه الله سبحانه وتعالى ، يقول الرازي في تفسيره : « واعلم أنه تعالى لما أجاب عن شبهات اليهود تكلم بعد ذلك مع النصارى في هذه الآية والتقدير : يا أهل الكتاب من النصارى ، لا تغلوا في دينكم ، أي لا تفرطوا في تعظيم المسيح ، وذلك لأنه تعالى حكى عن اليهود أنهم يبالغون في الطعن في المسيح ، وهؤلاء

(١) سورة النساء : آية ١٥٦

(٢) سورة مريم آية : ٢٥ .

(٣) تفسير الفخر الرازي ٩٨/١١ .

(٤) سورة النساء : آية ١٧١ .

النصارى يبالغون في تعظيمه، وكلا طرفي قصدهم ذميم، فلهذا قال للنصارى: لا تغلوا في دينكم، ولا تصفوا الله بالحلل والاتحاد في بدن الإنسان وروحه، ونزهوه عن هذه الأحوال»^(١).

بين الله سبحانه وتعالى أن اختيار عيسى لتبليغ الرسالة وتأيينه بالإنجيل والمعجزات الحسية نعمة أنعم الله بها عليه، قال تعالى: (إِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَذْكَرَ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَلَدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ)^(٢).

ولقد تبين من القرآن الكريم أن بني إسرائيل جحدوا نبوة عيسى عليه السلام، وأنكروا رسالته على الرغم من أنه رسول مرسل هدايتهم، قال تعالى: (وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ بَنِي إِسْرَءِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ)^(٣). وتبين من القرآن كذلك أن الحواريين وقفوا إلى جانب عيسى وناصروه، قال تعالى: (فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أُنزِلَتْ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ)^(٤).

وهكذا صرح القرآن الكريم بأن الحواريين آمنوا برسول الله عيسى، ولم يزعموا بأنه إله قط.

(١) تفسير الفخر الرازي ١١/١١٥

(٢) سورة المائدة : آية ١١٠

(٣) سورة الصف : آية ٦

(٤) سورة آل عمران : آية ٥٢ - ٥٣

ولقد ركز القرآن الكريم على حادثة الصلب وبين فسادها، لأنها المحور الذي تدور حوله الديانة المسيحية كلها، بل إن جميع مبادئ المسيحية وأركانها الأساسية^(١) تدور حول هذه الحادثة المختلفة.

إن القرآن لم ينكر أن شخصا صلب في ذلك الوقت، بل بين ووضح أن المصلوب هو شخص آخر، ولقد شُبّه لليهود بأنهم قتلوا المسيح عيسى بن مريم، لكن الله تعالى بين أنه ألقى شبهه على شخص آخر، وفي ذلك يقول تعالى: (وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا^(١٥٧)) بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا^(١٥٨)).

قال البيضاوي في تفسيره للآية: «روي أن رجلا كان ينافق لعيسى فخرج ليدل عليه، فألقى الله عليه شبهه، فأخذ وصلب وهم يظنون أنه عيسى، وروي أنه عنده رفع عيسى وألقى شبهه على غيره فقتلوه قالوا: إن كان هذا المقتول عيسى فأين صاحبنا؟ وإن كان هذا صاحبنا فأين عيسى؟ واختلفوا فقال بعضهم: هو عيسى. وقال بعضهم: بل هو غيره. فأجمعوا أن شخصا قد قتل، واختلفوا من كان.

قوله (ما لهم به من علم إلا اتباع الظن) أي ما لهم بقتله علم حقيقي، ولكن يتبعون فيه الظن الذي تخيلوه وما قتلوه يقينا بل رفعه الله إليه: أي قتلنا يقينا كما زعموه بقولهم: إنا قتلنا المسيح»^(١٥٩).

ونقول باختصار: إن القرآن الكريم بين أن النصارى ضلوا بعد ذهاب عيسى، وانقسموا شيعة وأحزابا، وطمسوا الحق وغلفوه بغلاف الباطل، وكذبوا على الله ونسبوا له الولد، وزعموا بأن الله ثالث ثلاثة، وآمنوا بتعدد الآلهة، وشوهوا ديانة التوحيد السمحة التي جاء بها عيسى بن مريم عليه السلام.

(١) إن أهم المبادئ التي تقوم عليها المسيحية هي: مبدأ الثلاث، مبدأ الخطيئة الأولى، مبدأ الطلب، مبدأ اللاهوت الخلاصي، مبدأ الحلول في جسد المسيح المتمثل في ملازمة الكنائس والصوامع. للمزيد من المعلومات حول مبادئ النصارى يمكنك الاطلاع على كتاب: Early Christian Doctrines.

(٢) سورة النساء: آية ١٥٧ - ١٥٨.

(٣) تفسير البيضاوي: ١٤١

وفيما يختص بهذا الموضوع جاء في القرآن مما يلي : (قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّا بِوَالِدِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَنَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾ فَأَخْلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾).

جاء في القرآن الكريم أيضا ما يلي : ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنِي لِي أَسْرَىٰ يَلْعَبُ اللَّهُ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مِنْ يُشْرِكِ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿٧٦﴾ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمِمَّا زُوِيَ عَنْهُمْ إِيَّاهُ وَنَحْنُ نَعْتَدُ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُوا لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾﴾.

رابعاً: التثبت في قبول الأخبار وروايتها عند المسلمين

- ١ - أصل القرآن الكريم والسنة الشريفة:
- أ - أصل القرآن

إن القرآن الكريم : هو الكتاب السماوي الموحى به إلى سيدنا محمد ﷺ ، وهو الكتاب المتعبد بتلاوته ، المنقول إلينا عن طريق التلقين والحفظ والكتابة ، متواترا عن رسول الله ﷺ ، عن سيدنا جبريل عليه السلام ، عن الله عز وجل . وهو الكتاب المعجز الذي تحدى به الله سبحانه وتعالى الإنس والجن جميعهم على أن يأتيوا بمثله ، كما تحدى به العرب الذين كانوا يتباهون بفصاحتهم وبلاغتهم وتمكنهم من البيان أن

(١) سورة مريم آية : ٣٠ - ٣٧

(٢) سورة المائدة آية : ٧٢ ، ٧٣

يأتوا بعشر سور من مثله، فلما عجزوا تحداهم أن يأتوا ولو بسورة واحدة فلم يستطيعوا إلى ذلك سبيلا. قال تعالى: ﴿قُلْ لَّيْنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ (١) وقال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (١٣) فَإِلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّ مَا أَنْزَلَ يَعْلَمُ اللَّهُ وَأَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٤﴾ (٢).

وقال تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (١٣) فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ (١٤) (٣).

إن القرآن وحي سماوي، وهو معجزة باقية، لأن الله سبحانه وتعالى تكفل بحفظه وصونه. قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (٤). والقرآن كتاب سماوي مصدق للكتب السابقة عليه، جاء لينقي العقائد والنظم التي جاء بها أنبياء الله السابقون، ويطهرها من البدع الوثنية التي غلفتها وأحاطت بها عبر العصور، حتى كادت أن تطمس معالمها، وجاء القرآن كذلك ليبري أنبياء الله ورسله مما رماهم به أهل الكتاب من التهم والافتراءات التي لا تليق بحالهم، فالقرآن الكريم إذن هو الوحي الإلهي الخاتم لرسالات السماء السابقة.

إن القرآن هو المصدر الأول للتشريع في الإسلام، وهو كلام الله. أما مهمة الرسول ﷺ فقد انحصرت في وعيه وحفظه - كما أنزل عليه - ثم نقله نقلا صحيحا، وتبليغه بكل أمانة وإخلاص إلى صحابته ليدونوه تدوينا صحيحا، ويحفظوه، ويتدارسوه، وليقوموا هم كذلك بمهمة تبليغه للأجيال التي تليهم.

(١) سورة الاسراء : آية ٨٨.

(٢) سورة هود : آية ١٣ - ١٤.

(٣) سورة البقرة : آية ٢٣ ، ٢٤.

(٤) سورة الحجر : ٩.

ولقد بلغ الأمر بالنبي ﷺ عند تلقيه القرآن أنه كان يسارع فيحرك به لسانه حرصاً على حفظه، قال تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ (١٦) ﴿إِنْ عَلَيْنَا جُمُوعُهُ وَقُرْءَانُهُ﴾ (١٧) ﴿فَإِذَا قُرْءَانُهُ قُلِّعَ قُرْءَانُهُ﴾ (١٨) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيِّنَاتِهِ ﴿١٩﴾.

ومن هنا يتضح لنا أن القرآن ماهو إلا وحي من عند الله، وهو كلام الله، وأن النبي ﷺ بشر رسول مكلف بتبليغه للناس.

ولقد بين القرآن الكريم كثيراً من الحقائق التاريخية الماضية، وتنبأ بأشياء مستقبلية، وحوى كثيراً من الحقائق التي تتعلق بالكون من حولنا، مما يدل دلالة واضحة على أنه وحي من عند الله سبحانه وتعالى. وبخاصة إذا علم أنه أنزل على نبي أمي لم يسبق له ولا لقومه العلم بهذه الحقائق التي بلغها للناس بعد أن بلغ الأربعين من عمره.

ب - أصل السنة

إن السنة في اللغة هي الطريقة المسلوكة والمعتادة في الحياة^(١). وفي اصطلاح المحدثين: هي ما صدر عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خلقية أو خلقية.

ويطلق على السنة الشريفة: الحديث الشريف.

والحديث في اللغة^(٢): الكلام الذي يتحدث به وينقل بالصوت أو الكتابة. وفي اصطلاح المحدثين: هو مرادف للسنة عند جمهور العلماء، وذهب قوم إلى اختصاصه بما صدر عن النبي ﷺ من قول دون الفعل^(٣) والتقرير.

والحق أن الأصل في الوضع اللغوي للسنة: هو الفعل والتقرير، والأصل في الحديث هو القول، ولكن بما أن كليهما هنا يرجع إلى ما صدر عن النبي ﷺ فلذلك مال أكثر المحدثين والأصوليين إلى تناسي أصليهما اللغوي والاصطلاح بهما على شيء واحد، والقول بأنهما مترادفان.

(١) سورة القيامة: ١٦ - ١٩.

(٢) لسان العرب ٢/٢٢١.

(٣) لسان العرب ١/٥٨٢.

(٤) انظر ماهية الحديث والخبر والأثر في كتاب قواعد التحديث: ٦١.

والسنة النبوية الشريفة هي المصدر الثاني من مصادر التشريع في الإسلام، ولذا قال بعض العلماء - كابن حزم - : هي ^(١) من الذكر الذي وعد الله تعالى بحفظه في قوله تعالى : ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ . لقد أمرنا الله سبحانه بالأخذ بالسنة الشريفة في كثير من الآيات، ومنها قوله تعالى : ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْهَوْا﴾ ^(٢) .

إن السنة النبوية الشريفة في اصطلاح المحدثين : هي أقوال النبي ﷺ وأفعاله وتقريراته وصفاته الخلقية والخلقية .

ومن أمثلة السنة القولية ما أخرجه الإمام البخاري بسنده، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : «كان أهل الكتاب يقرءون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله ﷺ : لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، وقولوا : (آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إليكم) الآية» ^(٣) .

ومن أمثلة السنة الفعلية : الحديث الذي أخرجه الإمام البخاري بسنده من حديث عبدالله بن زيد : أنه أفرغ من الإناء على يديه فغسلها، ثم غسل أو مضمض واستنشق من كفة واحدة، ففعل ذلك ثلاثا فغسل يديه إلى المرفقين مرتين، مرتين ومسح برأسه ما أقبل وما أدبر، وغسل رجله إلى الكعبين، ثم قال هكذا وضوء رسول الله ﷺ - (-) ^(٤) .

ومن أمثلة السنة التقريرية : الحديث الذي أخرجه الإمام أبوداود بسنده من حديث عمرو بن العاص قال : «احتلمت في ليلة باردة في غزوة ذات السلاسل، فأشفقت أن أغتسل فأهلك، فتيمنت، ثم صليت بأصحابي الصبح فذكروا ذلك للنبي ﷺ، فقال : يا عمرو، صليت بأصحابك وأنت جنب؟ فأخبرته بالذي منعي

(١) الإحكام في أصول الأحكام : ٣٢١/٢

(٢) سورة الحشر : آية ٧

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول النبي ﷺ ، لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء ٣٣٣/١٣ (من صحيح البخاري بشرحه فتح الباري).

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الوضوء، باب من مضمض واستنشق من غرفة واحدة ٢٩٧/١ (من صحيح البخاري بشرحه فتح الباري).

من الاغتسال، وقلت: إني سمعت الله يقول: (٤ : ٢٩) ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيماً. فضحك النبي ﷺ ولم يقل شيئاً^(١).

أما الصفات الخلقية فهي تظهر من الأحاديث التي يصف فيها الصحابة رضوان الله عليهم خلق رسول الله ﷺ، من جود وكرم وأدب وحلم وما إلى ذلك، ومن أمثلة ذلك ما أخرجه الإمام البخاري بسنده من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان النبي ﷺ أجود الناس بالخير، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان جبريل عليه السلام يلقاه كل ليلة في رمضان حتى ينسلخ، يعرض عليه النبي ﷺ القرآن، فإذا لقيه جبريل عليه السلام كان أجود بالخير من الريح المرسلة^(٢).

أما الصفات الخلقية: فهي الأحاديث التي فيها وصف خلق رسول الله ﷺ، كالحديث الذي أخرجه البخاري بسنده عن أنس بن مالك يصف النبي ﷺ، قال: كان ربعة من القوم، ليس بالطويل ولا بالقصير، أزهر اللون، ليس بأبيض أمهق، ولا آدم، ليس بجعد قطط ولا سبط رجل. أنزل عليه وهو ابن أربعين، فلبث بمكة عشر سنين ينزل عليه، وبالمدينة عشر سنين، وقبض وليس في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء، قال ربيعة: فرأيت شعراً من شعره فإذا هو أحمر، فسألت فقيل: أحمر من الطيب^(٣).

إن النبي ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين وهو العاقب الذي ليس بعده نبي، فهو خاتم أنبياء الله ورسله.

ويدلنا على ذلك الحديث الذي أخرجه البخاري بسنده عن محمد بن جبير، بن مطعم، عن أبيه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «لي خمسة أسماء: أنا محمد

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الطهارة، باب إذا خاف الجنب البرد أتيتم؟ ٢٠٧/١ حديث رقم ٣١٥ (من مختصر سنن أبي داود).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الصيام، باب أجود ما كان النبي ﷺ يكون في رمضان ١١٦/٤ (من صحيح البخاري يشرحه فتح الباري).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب المناقب، باب صفة النبي ﷺ ٥٦٤/٦ (من صحيح البخاري يشرحه فتح الباري).

وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وأنا العاقب»^(١)

ويدلنا على ذلك الحديث الذي ساقه البخاري بسنده من حديث أبي هريرة رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ قال : «إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثلي رجل بنى بيتاً، فأحسنه وأجمله، إلا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون به، ويعجبون له، ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة؟ قال: فأنا اللبنة، وأنا خاتم النبيين»^(٢).

قال ابن حجر: في الحديث ضرب الأمثال للتقريب للأفهام، وفضل النبي ﷺ على سائر النبيين، وأن الله ختم به المرسلين، وأكمل به شرائع الدين»^(٣).

٢ - تثبت علماء المسلمين في حفظ القرآن والسنة وتدوينها:
أولاً: تثبت المسلمين في حفظ وتدوين القرآن الكريم:

لقد ثبت تاريخياً بما لا يدع مجالاً للشك: أن القرآن الكريم كتب بين يدي النبي ﷺ، وأنه حفظ في الصدور حفظاً دقيقاً، وكذلك كتب في السطور بمنتهى الدقة، وما زال القرآن الكريم يتلى ويتعبد به آناء الليل وأطراف النهار منذ ذلك الحين، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وذلك لأن في حفظه وتلاوته عبادة وبركة وطهوراً للمسلمين، ولا يوجد ما يضاهي القرآن من الكتب السماوية في دقة التوثيق، والنقل والتدوين، والحفظ والتداول، إلى يومنا هذا، ولقد كان النبي ﷺ يحرص على تلقيه وحفظه وتبليغه لصحابته، وأن جبريل عليه السلام كان يعارض النبي ﷺ بالقرآن في كل عام مرة، وفي العام الذي توفي فيه عارضه به مرتين. أخرج الإمام البخاري تعليقا من حديث عائشة، عن فاطمة رضي الله عنها أنها قالت:

(١) أخرجه البخاري في كتاب المناقب، باب ما جاء في أسماء رسول الله ﷺ ٥٥٤/٦ (من صحيح البخاري يشرحه فتح الباري).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب المناقب باب خاتم النبيين ٥٥٨/٦ (من صحيح البخاري يشرحه فتح الباري).

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري ٥٥٨/٦.

«أسر إلى النبي ﷺ أن جبريل يعارضني بالقرآن كل سنة، وإنه عارضني العام مرتين، ولا أراه إلا حضر أجلي»^(١).

ولقد اتخذ النبي ﷺ الكتاب الثقة المجيدين، لتدوين القرآن الكريم، والذي كان يدون في الرقاع والعظام واللخاف، وما إلى ذلك، ومما يدلنا على ذلك: الحديث الذي أخرجه الإمام الترمذي بسنده من حديث ابن عباس، عن عثمان رضي الله عنها قال: «كان رسول الله ﷺ مما يأتي عليه الزمان وهو تنزل عليه السور ذوات العدد، فكان إذا نزل عليه الشيء دعا بعض من كان يكتب فيقول: ضعوا هؤلاء الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا، وإذا نزلت عليه الآية فيقول: ضعوا هذه الآية في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا»^(٢).

ولقد حث الرسول ﷺ صحابته على التحري والأخذ عن الحفاظ المتقين الذين يجيدون قراءة القرآن وحفظه وتلاوته وكتابته، ومن أمثلة ذلك: الحديث الذي أخرجه الإمام مسلم بسنده عن مسروق قال: ذكروا ابن مسعود عند عبدالله بن عمرو فقال: ذاك رجل لا أزال أحبه بعدما سمعت من رسول الله ﷺ يقول: «استقرئوا القرآن من أربعة: من ابن مسعود، وسالم مولى أبي حذيفة، وأبي بن كعب، ومعاذ بن جبل»^(٣).

ولقد اشتهر الصحابة بالحفظ والإنقان، حتى كان هناك أناس اشتهروا باسم القراء، قتل منهم سبعون يوم بئر معونة، وذلك في السنة الرابعة من الهجرة، مما يدل على أن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يبادرون بحفظ كل ما ينزل عليهم، ولا يتهاونون في ذلك. وأن النبي ﷺ كان يشجعهم على الحفظ، لأن فيه عبادة لهم، فقد

(١) أخرجه البخاري تعليقا في كتاب فضائل القرآن، باب كان جبريل يعرض القرآن على النبي ﷺ : ٣٣/٢٠ (من صحيح البخاري شرحه عمدة القاري. حديث عائشة رضي الله عنها، وصله البخاري في كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام ٦٢٧/٦، ٦٢٨ (من صحيح البخاري بشرحه فتح الباري).

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب التفسير، باب سورة التوبة ٤٧٨/٨ - ٤٨٠. من الترمذي بشرحه تحفه الأحوذى، وقال حديث حسن.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الفضائل، باب فضائل عبدالله بن مسعود وأمه ١٨/١٦، ١٩. (من صحيح مسلم بشرح النووي).

أخرج الإمام الترمذي بسنده عن عثمان بن عفان رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ قال : «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»^(١).

ما توفي رسول الله ﷺ إلا والقرآن الكريم كله محفوظ في صدور صحابته ، ومكتوب في الصحف والمواد . واستمرت عناية الصحابة رضوان الله عليهم بالقرآن الكريم بعد أن لحق الرسول ﷺ بالرفيق الأعلى ، فقد اهتم الصحابة في عهد أول الخلفاء الراشدين أبي بكر الصديق رضي الله عنه بجمع القرآن مرتبا في صحف ، خشية أن يضيع بتفرق الصحف ووفاة أصحابها ، ويدلنا على هذا الحرص : أن سيدنا عمر بن الخطاب أشار على أبي بكر بجمع القرآن .

فقد أخرج الإمام البخاري بسنده ، من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه قال : «أرسل إلي أبو بكر مقتل أهل اليمامة ، فإذا عمر بن الخطاب عنده ، قال أبو بكر رضي الله عنه : إن عمر أتاني فقال : إن القتل قد استحر يوم اليمامة بقراء القرآن ، وإني أخشى أن يستحر القتل بالقراء بالمواطن فيذهب كثير من القرآن ، وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن ، قلت لعمر : كيف تفعل شيئا لم يفعله رسول الله ﷺ ؟ قال عمر : هذا والله خير . فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك ، ورأيت في ذلك الذي رأى عمر . قال زيد : قال أبو بكر : إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك ، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ ، تتبع القرآن فاجمعه ، فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل علي مما أمرني به من جمع القرآن ، قلت : كيف تفعلون شيئا لم يفعله رسول الله ﷺ ؟ قال : هو والله خير ، فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، فتبعت القرآن أجمعه من العصب واللخاف وصدور الرجال ، حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري ، لم أجدها مع أحد غيره (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم . . .) ، حتى خاتمة براءة ، فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله ، ثم عند عمر حياته ، ثم عند حفصة بنت عمر رضي الله عنها»^(٢).

(١) أخرجه الترمذي في أبواب فضائل القرآن ، باب ما جاء في تعليم القرآن ٢٢٢/٨ من سنن الترمذي بشرحه تحفة الأحوذى وقال : حديث حسن صحيح .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن ، باب جمع القرآن ١٦/٢٠ (من صحيح البخاري بشرحه عمدة القاري) .

وقد روى الإمام أبو داود بسنده عن علي بن أبي طالب أنه قال : أعظم الناس أجرا في المصاحف : أبو بكر، رحمة الله على أبي بكر، هو أول من جمع القرآن بين اللوحين .

ولما اتسعت رقعة البلاد الإسلامية في زمن سيدنا عثمان رضي الله عنه، واختلط العرب بغيرهم، وقرأ كل أهل مصر عن مقرئهم، واختلف الناس، وخطأ بعضهم بعضا في القراءات، رأى حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أن يحدث عثمان يجمع الناس على مصحف واحد، ففعل عثمان رضي الله عنه بوصية الصحابي الجليل حذيفة الذي كان أمين سر رسول الله ﷺ .

لقد وجد حديث حذيفة قبولا في نفس سيدنا عثمان رضي الله عنه، فبذل غاية الجهد في التدقيق والتثبت والتحري في جمع القرآن على حرف واحد، كما جاء في كتاب مناهل العرفان حيث أورد الكاتب ما نصه :

«وشرع عثمان في تنفيذ هذا القرار الحكيم حول أواخر سنة أربع وعشرين، وأوائل سنة خمس وعشرين من الهجرة، فعهد في نسخ المصاحف إلى أربعة من خيرة الصحابة وثقات الحفاظ، وهم : زيد بن ثابت، وعبدالله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبدالرحمن بن الحارث بن هشام، وهؤلاء الثلاثة الأخيرون من قريش .

وأرسل عثمان إلى أم المؤمنين حفصة بنت عمر فبعثت إليه بالمصحف التي عندها، وهي المصحف التي جمع القرآن فيها على عهد أبي بكر رضي الله عنه . وأخذت لجنة الأربعة هؤلاء في نسخها، وجاء في بعض الروايات : أن الذين ندبوا لنسخ القرآن كانوا اثني عشر رجلا، وما كانوا يكتبون شيئا إلا بعد أن يعرض على الصحابة، ويقر أن رسول الله ﷺ قرأ على هذا النحو الذي نجده الآن في المصاحف»^(١) .

إن حذيفة رأى اختلاف المسلمين في القراءات ونزاعهم وتخطئة بعضهم بعضا، فخشى أن يتنازعا تنازع أهل الكتاب، يدلنا على ذلك الحديث الذي أخرجه الإمام البخاري، من حديث أنس رضي الله عنه : «أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق،

(١) مناهل العرفان ٢٥٠/١

فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة، فقال حذيفة لعثمان: يا أمير المؤمنين، أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى، فأرسل عثمان إلى حفصة: أن أرسل إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان، فأمر زيد بن ثابت، وعبدالله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبدالرحمن بن الحارث بن هشام، فنسخوها في المصاحف: وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فأكتبوه بلسان قريش؛ فإنما نزل بلسانهم، ففعلوا، حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة، فأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق^(١).

نجد أن الصحابة رضوان الله عليهم قد بلغوا بتدوين القرآن أعلى درجات التوثيق، فلم يحذفوا منه أو يضيفوا إليه أو يحرفوا فيه، ستي حرفا واحدا، بل جمعوه ووثقوه تماما، كما أنزل على رسول الله ﷺ، وظل المسلمون يحفظونه عن ظهر قلب ويتعبدون بتلاوته ليلا ونهارا دون كلل أو ملل.

ثانيا: تثبت المسلمين في تلقي السنة الشريفة وتدوينها.

حرص صحابة رسول الله ﷺ على سماع الحديث الشريف وحفظه ومذاكرته فيما بينهم، وكان الشاهد منهم يبلغ الغائب، امثالاً لأمر رسول الله ﷺ، يدلنا على ذلك الحديث الذي أخرجه ابن ماجه بسنده، عن زيد بن ثابت، قال: قال رسول الله ﷺ: «نضر الله امرأ سمع مقالتي فبلغها. فرب حامل فقه غير فقيه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه»^(٢).

ولقد حرص الصحابة رضوان الله عليهم على حفظ سنة رسول الله ﷺ بجانب حفظهم للقرآن الكريم وحرصهم عليه، لأن القرآن الكريم نفسه يحث على التمسك بالسنة والعمل بها، كقوله تعالى: (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا). فأخذ الصحابة سنة رسول الله ﷺ وتحروا الأمانة والدقة في نقلها لغيرهم، كما سمعوا منه ﷺ، لأن رسول الله ﷺ حذر من الكذب عليه، ويدلنا على ذلك

(١) أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن ١٧/٢٠

(من صحيح البخاري بشرحه عمدة القاري)

(٢) أخرجه ابن ماجه في المقدمة، باب من بلغ علما ٨٤/١، ٨٥ حديث رقم ٢٣٠

الحديث الذي أخرجه الإمام البخاري بسنده عن أنس رضي الله عنه قال: «إنه يمنعني أن أحدثكم حديثاً كثيراً أن النبي ﷺ قال: «من تعمد علي كذبا فليتبوأ مقعده من النار»^(١).

لقد كان الصحابة والتابعون ينبهون على خطورة الكذب على رسول الله ﷺ، ولا يحدثون السفهاء وأصحاب الأهواء خشية أن يدخلوا فيه البدع، ومما يدلنا على ذلك: ما نقله الخطيب البغدادي عن مسروق أنه قال: «نكد الحديث الكذب، وأفته النسيان، وإضاعته أن تحدث به غير أهله»^(٢).

ولقد بلغ الحرص بالصحابة أن لا يحدثوا من عارضه الكسل والفتور. نقل الخطيب أيضاً قول ابن مسعود رضي الله عنه: «حدث القوم ما أقبلت عليك قلوبهم، فإذا انصرفت قلوبهم فلا تحدثهم، قيل له: ما علامة ذلك؟ قال: إذا حدقوك بأبصارهم، فإذا تئأبوا واتكأ بعضهم على بعض فقد انصرفت قلوبهم، فلا تحدثهم»^(٣).

وكان بعض الصحابة لشدة حرصهم على التحري يوضحون للسامع إن كانوا قد سمعوا الحديث بأنفسهم من الرسول ﷺ أم أخذوه عن صحابي آخر، يدلنا على ذلك الحديث الذي أخرجه ابن ماجه، عن عروة، عن أبيه (الزبير)، عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان النبي ﷺ يصلي الليل ثلاث عشرة ركعة»^(٤).

فهذا الحديث لم يسمعه الزبير رضي الله عنه من رسول الله ﷺ مباشرة، إنما سمعه من عائشة رضي الله عنها، عن النبي ﷺ، وقد وضع ذلك لعروة عند روايته للحديث الشريف، وكان بعض الصحابة يدون ما يسمع بدقة متناهية.

واستمر الصحابة رضوان الله عليهم وتابعوهم بعد وفاة الرسول ﷺ في حفظ الحديث وتدارسه، ودون بعضهم ما تيسر لهم من الحديث.

إن الصحابة رضوان الله عليهم بلغوا الذروة في الثبوت في طلب الحديث

(١) أخرجه البخاري في كتاب العلم، باب إثم من كذب على النبي ﷺ ٢٥/١ (من صحيح البخاري بشرحه فتح الباري)

(٢) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع : ٣٢٧/١

(٣) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع : ٢٣٠/١

(٤) سنن ابن ماجه، كتاب الصلاة، باب ماجاء في كم يصلي بالليل حديث رقم ١٣٥٩ (٤٣٢/١).

وتحملة وأدائه . ومما يدلنا على ذلك : رحلتهم للتأكد من صحة الحديث الواحد قبل اعتماده ، وذلك بعد أن تفرق الصحابة حملة الحديث الشريف في الأمصار المفتوحة ، ويدلنا على ذلك ما جاء في كتاب معرفة علوم الحديث - للحاكم - من أن سعيد بن المسيب قال : «إني كنت لأسافر مسيرة الأيام والليالي في الحديث الواحد . وقال عمرو بن أبي سلمة للأوزاعي : يا أبا عمرو ، أنا ألزمك منذ أربعة أيام ولم أسمع منك إلا ثلاثين حديثاً - قال : وتستقل ثلاثين حديثاً في أربعة أيام؟ لقد سار جابر بن عبد الله إلى مصر واشترى راحلة فركبها حتى سأل عقبة في حديث واحد وانصرف إلى المدينة لا يلوي على شيء ، وأنت تستقل ثلاثين حديثاً في أربعة أيام؟!»^(١).

جاء في مقدمة بن الصلاح : «فسنّ الصحابة رضي الله عنهم الرحلة في طلب الحديث ، فأصبحت من آداب طالب الحديث التي لا ينفك عنها ، فما نقرأ سيرة محدث لم يرحل قط^(٢) إلا نادراً»^(٣).

وبعد مقتل سيدنا عثمان بن عفان وظهور الفتنة ومحاولات أصحاب الأهواء والبدع وأعداء الإسلام الكيد للإسلام والمسلمين ، وإدخال البدع في الدين ، تصدى الصحابة والتابعون لهذه المحاولات ، ووقفوا في وجه كل من تسول له نفسه إدخال البدع في الدين عن طريق الكذب على رسول الله ﷺ ، مما أدى إلى ظهور علوم كثيرة تحمي حديث رسول الله ﷺ من عبث العابثين ، وبدأ الصحابة والتابعون يبحثون في أحوال الرواة ، ويدققون مع الراوي ليذكر لهم من أخذ عنه الحديث الشريف ، ويحرصون على ذلك عند التلقي والأداء ، ولقد تتبع علماء الحديث رواة الحديث لمعرفة أحوالهم ، حتى قسموهم حسب درجة حفظهم وثبتهم إلى مراتب ، أعلاها قولهم : فلان أوثق الناس ، ثم فلان ثقة ثقة - على سبيل التأكيد - ثم قولهم : ثقة ، ثم قولهم : فلان صدوق ، ثم قولهم : فلان شيخ ، ثم ما أشعر بالقرب من التجريح ، مثل فلان صالح الحديث ، أو يكتب حديثه .

ولقد قسم المحدثون المجروحين أيضاً إلى مراتب أخفها قولهم : فلان لين الحديث ، ثم قولهم : فلان لا يكتب حديثه ، ثم قولهم : فلان ضعيف جداً ، ثم قولهم : فلان متهم بالكذب ، وآخر هذه المراتب قولهم : فلان كذاب أو وضاع^(٤).

(١) معرفة علوم الحديث : ٨٢٧

(٢) مقدمة المحقق لمقدمة علوم الحديث : ٩

(٣) (١٣) الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث : ١٠٥ ، ١٠٦ انظر أيضاً ، تقريب التهذيب ٥٠٤/١ .

وعلى الرغم من أن علم الجرح والتعديل قد ظهر بصورة واضحة على يد العلماء المسلمين في عصر الفتنة، إلا أن وعى المسلمين بضرورة التثبت في رواية الأخبار وتداولها لم يكن وليد تلك الأحداث، بل كان وعيهم بضرورة التثبت موجوداً وممتانياً منذ بزوغ فجر الإسلام، حيث ظهرت أسسه الأولى في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، يقول في ذلك محمد عجّاج الخطيب :

(وهكذا تكون علم الجرح والتعديل الذي وضع أسسه كبار الصحابة والتابعين وأتباعهم على ضوء الشريعة الحنيفية، تأسيساً برسول الله ﷺ، فقد قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ وقال النبي ﷺ في الجرح : (بش أخو العشرة)^(١)، وفي التعديل : (إن عبدالله^(٢) رجل صالح)^(٣)

وبعد أن زادت رقعة البلاد الإسلامية وكثر تنقل المحدثين وكثر طلبة الحديث الشريف صار التلاميذ يرحلون إلى شيوخهم من المحدثين، لتلقي الحديث الشريف على أيديهم، فاشتهر الشيوخ، ودقق المحدثون في تحمل الحديث عن الشيخ، وكيفية ضبطه وأدائه.

ولقد كان الصحابة والتابعون يتعاهدون الحديث الشريف بالمذاكرة والحفظ في حلقات العلم في كل الأقطار التي فتحت بعد، ولقد بدأ بعض المحدثين في تدوين الحديث الشريف بصورة منتظمة في عهد التابعين، ومن أشهر التابعين الذين دونوا كثيراً من الأحاديث : محمد بن مسلم بن شهاب الزهري، المتوفى عام ١٢٤هـ، وفي القرن الثاني من الهجرة ظهرت كتب المصنفات في الحديث الشريف، فبعد أن كان الحديث يجمع في الكتب مختلطاً بالتفسير والفقه وغيره، وبعد أن كان يجمع دون ترتيب أو تبويب، بدأ العلماء يرتبون الأحاديث النبوية الشريفة حسب نسبتها للصحابي راوي الحديث، أو حسب أبواب الفقه، أو حسب أبواب الدين كلها.

من أول الكتب التي ظهرت في ذلك : موطأ الإمام مالك بن أنس بالمدينة . ثم

-
- (١) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب لم يكن النبي ﷺ فاحشاً ولا متفحشاً ٤٥٢/١٠ (من صحيح البخاري بشرحه فتح الباري).
 - (٢) أخرجه البخاري في كتاب المناقب، باب مناقب عبدالله بن عمر ٨٩/٧٠ (من صحيح البخاري بشرحه فتح الباري)
 - (٣) السنة قبل التدوين : ٢٣٥.

ظهرت كتب المسانيد، وأشهرها : مسند الإمام أحمد بن حنبل، وتلتها كتب الصحاح، وأصحها : صحيح البخاري، ثم صحيح مسلم.

ولقد اعتمد أئمة المسلمين الذين جمعوا الحديث الشريف شروطا دقيقة لقبول الحديث الشريف أورده، بعضها يتعلق بالراوي، والبعض الآخر يتعلق بالمروي.

ومن الشروط التي تتصل بالراوي :

أن يكون راوي الحديث مسلماً، بالغاً، عاقلاً، غير فاسق، وغير مخروم المروءة، وأن يكون عالماً بما يقول، ضابطاً لما يكتب.

ومن الشروط التي تتصل بالمروي : أن لا يكون المروي مخالفاً للقرآن ولما ثبت نقله عن النبي ﷺ، وأن لا يكون ركيك اللفظ والمعنى.

وقسمت الأحاديث النبوية الشريفة حسب ضبط الرواة وعدالتهم وقوة أحاديثهم إلى أحاديث صحيحة وحسنة وضعيفة، وتتبع العلماء كذلك الأقوال المكذوبة المنسوبة إلى النبي ﷺ بالبحث، لبيان فسادها وضمان عدم دخولها في الدين.

جاء في مقدمة ابن الصلاح «ومن الطرق التي ابتدعتها المحدثون لمعرفة الوضع أو الضعف في الحديث : عرض حديث الراوي على رواية غيره من أهل الحفظ والإتقان، فحيث لم يجدوا له موافقا على حديثه أو كان الأغلب من حديثه كذلك ردوا أحاديثه وتركوه»^(١).

ولقد قال بعض الصحابة والتابعين : كأي هريرة، وإبراهيم النخعي المتوفي عام ٩٥ هـ : إن هذا العلم دين، فانظروا عمن تأخذونه.

وقال الإمام عبدالله بن إدريس المتوفي عام ١٩٢ هـ : لا نسمع الحديث ممن شرب مسكرا. هـ^(٢).

ومما يدلنا على تيقظ المسلمين وحرصهم في رواية حديث الرسول ﷺ : ما ورد في كتاب المجروحين، حيث قال مؤلفه ما نصه : قد أخبر ابن عباس أن تركهم

(١) من مقدمة المحقق لعلوم الحديث : ٩

(٢) المجروحين : ٣٣، ٣٤

للمرواية، وتشددهم فيها على أصحاب رسول الله ﷺ، كان منهم ذلك توقيا لكذب عليه من بعدهم - ثم أخذ مسلكهم واستنَّ بسنتهم واهتدى بهديهم فيما استنوا من التيقظ في الروايات : جماعة من أهل المدينة من سادات التابعين، منهم : سعيد بن المسيب، والقاسم بن محمد بن أبي بكر، وسالم بن عبدالله بن عمر، وعلي بن الحسن ابن علي... فجدوا في حفظ السنن والرحلة فيها، والتفتيش عنها، والتفقه فيها، ولزموا الدين ودعوة المسلمين، ثم أخذ عنهم العلم، وتبع الطرق، وانتقاء الرجال، ورحل في جمع السنن : جماعة من بعدهم، منهم : الزهري وبشر بن سعيد الأنصاري، وهشام بن عروة، وسعيد بن إبراهيم، وجماعة معهم من أهل المدينة،^(١)

إن هذه الدقة المتناهية في أخذ الحديث ورده أدى إلى صيانة الكتب الصحيحة وحمايتها من أحاديث أصحاب الأهواء والبدع، ولقد شهد كثير من العلماء لهذه الكتب وأصحابها بالفضل، ويدلنا على ذلك تعليق الإمام الذهبي على الإمام البخاري بقوله : كان رأسا في العلم، ورأسا في الورع والعبادة^(٢). ولقد نقل الذهبي قول ابن خزيمة : «ما تحت أديم السماء أعلم بالحديث من البخاري»^(٣).

أما فيما يختص بصحيح مسلم : فقد نقل الذهبي قول الحافظ أبي علي النيسابوري : «ما تحت أديم السماء كتاب أصح من كتاب مسلم»^(٤).

ويدلنا على ذلك أيضا : ما فعله^(٥) علماء بغداد مع الإمام البخاري، حيث قبلوا له متون مائة حديث وأسانيدها، وذلك ليختبروا مدى قوة حفظه، فلما تمكن الإمام البخاري من رد المتون كلها إلى أسانيدها شهدوا له بالفضل والعلم.

٣ - التحري في صيانة الكتاب والسنة وأثره في ازدهار العلوم الدينية والنبوية.

لقد كان للتدقيق في حفظ الكتاب والسنة أثر كبير في ازدهار العلوم الدينية، وبخاصة تلك العلوم التي تتصل بدراسة القرآن والسنة.

(١) المجروحين : ٣٨، ٣٩

(٢)، (٣) تذكرة الحفاظ : ٥٥٥/٢

(٤) تذكرة الحفاظ : ٥٥٦/٢

(٥) تدريب الراوي : ٢٩٣/٢، ٢٩٤

أما فيما يختص بالقرآن الكريم : فقد تعددت الدراسات حول تفسير سورة وآياته، والبحث عن ناسخه ومنسوخه، وشرح الألفاظ الغريبة فيه، والحديث عن مشكله وإعجازه، والبحث عن محكمه ومتشابهه، والبحث عن أسرار التكرار فيه، والبحث في بلاغته وتلاوته، ولقد أدى كل ذلك إلى الاهتمام بلغة القرآن الكريم، ومحاولة صيانتها من أصحاب الألسن المختلفة.

أما فيما يختص بالسنة النبوية الشريفة : فقد كانت عناية العلماء بها فائقة، لا تقل عن عنايتهم بالقرآن الكريم، ولقد ظهرت علوم كثيرة تتصل بالحديث النبوي الشريف من حيث الدراية والرواية. فظهرت العلوم التي تبحث في أسانيد الأحاديث ومتونها : كعلم الجرح والتعديل، ومعرفة المتصل والمنقطع من الأسانيد، ومعرفة العلل الخفية في الحديث، وتمييز الخبر المقبول من المردود، وجمعها في كتب مستقلة مع بيان حالها، ومعرفة المحكم والمختلف فيه، والناسخ والمنسوخ. ومعرفة آداب سماعه، وطرق تحمله، وكيفية ضبط روايته.

وكذلك ظهرت المصنفات في شرح الحديث وغيره، وتتبع الروايات، وبيان أوجه التشابه والخلاف فيها.

ولقد أدت دراسة العلماء للقرآن والسنة ومحاولة تطبيق ما جاء فيهما من أحكام على واقع الفرد المسلم والمجتمع الاسلامي إلى ظهور علم الفقه بأبوابه المختلفة : كفقه العبادات والمعاملات وغيرها.

ولقد كان لتطور علوم الفقه وتشعبها واشتمالها على مختلف الأحكام الدينية والدينية أثر في تنمية المجتمع الإسلامي وإنعاشه وتماسكه، مما أثار إعجاب كثير من علماء القانون حتى من غير المسلمين، أمثال العالم الأمريكي هوكنج أستاذ الفلسفة بجامعة هارفارد الذي قال : « . . . أحيانا يتساءل بعض الناس عما إذا كان نظام الإسلام يستطيع توليد أفكار جديدة وإصدار أحكام مستقلة تتفق وما تتطلبه الحياة العصرية؟ والجواب : إن في نظام الإسلام كل استعداد داخلي للنمو، بل إنه من حيث قابليته للتطور يفضل كثيرا من النظم المماثلة . . . وإني أشعر بكوني على حق حين أقرر أن الشريعة الإسلامية تحتوي بوفرة على جميع المبادئ اللازمة للنهوض»^(١).

ويقول ليون : «إن الإسلام يتمشى مع مقتضيات الحاجات الظاهرة، فهو يستطيع أن يتطور دون أن يتضاءل في خلال القرون، ويبقى محتفظا بكامل ما له من قوة الحياة والمرونة، فهو الذى أعطى للعالم أرسخ الشرائع ثباتا، وشريعته تفوق في كثير من تفاصيلها تفاصيل الشرائع الأوروبية»^(١).

ولقد كان لجهود العلماء في البحث والتدقيق والتتبع والمناظرة والجدل أثر كبير في تطور العلوم الدينية والدنيوية على مر العصور، وبخاصة في القرن الرابع الهجري : يقول في ذلك الدكتور حسن عبد العال : «يعد القرن الرابع الهجري أزهي العصور في الإسلام من الناحية العلمية ففيه نمت وأينعت علوم الثقافة الإسلامية كلها، وأهمها علوم القرآن، وألف كثير من العلماء كتباً في الحديث، واستقرت دعائم المذاهب الأربعة في الفقه، وفيه انتضحت آثار الفرق الإسلامية على اختلاف آرائها ومناهجها : كأهل السنة، والمعتزلة، والمرجئة، والشيعة، والظاهرية، وغيرها. ولكل فرقة منهجها وكتبها. ولم يعد هناك علم قديم أو حديث إلا وله كتب وأعلام نابغون، حيث امتاز هذا العصر باجتماع طائفة من العلماء والمفكرين والأدباء والفلاسفة والأطباء، قل أن يجتمعوا في عصر واحد، وقد كانت الثقافة فيه نسخة شائعة بين الناس جميعا، يشارك فيها خاصتهم وعامتهم، حتى المرأة شاركت في ازدهار الحركة العلمية ونموها»^(٢).

ولم يقصر علماء المسلمين جهودهم على البحث في العلوم الدينية فقط، وإنما شملت جهودهم العلوم الدنيوية أيضا : كالطب، والفلك، وغيرها من العلوم، لاشتمال الكتاب والسنة على توجيهات للأفراد والجماعات بالنظر والتأمل في ملكوت السموات والأرض، وفي العمل على استغلالها والإفادة منها فظهر العلماء المسلمون الذين برعوا في شتى العلوم والفنون الدنيوية : كالفارابي، وابن الهيثم، وابن سينا، وابن رشد، وغيرهم، مما كان له أثر في نهضة الدول الأوروبية والعالم. ولقد شهد علماء أوربا أنفسهم بأثر المسلمين في النهضة العلمية الحديثة، وأن المسلمين كانوا الأساس الأول الذى بنيت عليه الحضارة الغربية الحديثة.

يقول في ذلك الفيلسوف جونز : «لقد ظهر في القرن الثالث عشر نوع من

(١) المرجع السابق : ٧٤

(٢) التربية الإسلامية في القرن الرابع الهجري : ٦٨.

الفنون، أطلقوا عليها اسم الفنون الجميلة، وتقدم الناس في البناء والعمران، وظهرت طبقات من الفنانين والنحاتين والشعراء، وبدأت العلوم الطبيعية في الازدهار، فنقل كثير من علماء الغرب تلك العلوم والفنون عن المسلمين الذين كانوا قد حملوا تلك الفنون والعلوم إلى أسبانيا. فانتعشت العلوم في أوروبا، واستفاد علماء الغرب من تلك العلوم التي لم تكون معهودة لديهم من قبل.

وإن من أهم الأسباب التي أدت إلى نهضة العلوم الطبيعية في أوروبا في القرنين الخامس عشر والسادس عشر : هو انكباب العلماء والأطباء وغيرهم على النصوص العربية التي حملها لهم المسلمون إلى أسبانيا، لقد تركت تلك النصوص أثرا طيبا في نفوس العلماء فبحثوا فيها بدقة واستفادوا منها كثيراً^(١).

إنه لمن الملاحظ أن العلوم الدنيوية قد ازدهرت وثمرت عند المسلمين جنبا إلى جنب مع العلوم الدينية، وهذا بعكس ما ساد عند النصارى في أوروبا، حيث كان رهبان النصارى هم أول من تصدى للعلم والعلماء في عصر النهضة في أوروبا، تحت الزعم بأن البحث في العلوم الكونية يتنافى مع الديانة المسيحية. وعلى الرغم من أن العلوم نمت وازدهرت إلا أننا نجد أن العلماء قد عانوا كثيرا من ضغط رجال الدين المسيحي لهم، بل تعرض بعضهم للتعذيب والنفي والقتل، ولم تنهض العلوم في أوروبا وتزدهر إلا بعد أن تصدى الجمهور والعلماء لرجال الدين واضطروهم إلى التراجع عن كثير من آرائهم الخاطئة حول العلم والعلماء، فكف رجال الدين المسيحي أيديهم عن العلماء وتركوهم وشأنهم.

يقول في ذلك جونز : «وفي القرن الرابع عشر وقفت الكنيسة موقفا مخزيا من العلوم الطبيعية، وناصبت كل من يبحث عن تلك العلوم العدا، بل رأت الكنيسة حرق كل من تسول له نفسه البحث في الظواهر الكونية، وذلك لأن رجال الدين المسيحي كانوا متمسكين برأي القس أوغسطين منذ القرن الخامس الميلادي، والذي كان يقول : إن البحث في العلوم الطبيعية يؤدي إلى هلاك الإنسان، ويوقعه في الغرور ومصية الله. . وقال أيضا : إنه لا حاجة للإنسان في أن يدرس العلوم الطبيعية، لأن الإله لو أراد للنصارى دراسة تلك العلوم لذكر ذلك في الإنجيل»^(٢).

١ - أثر القرآن والسنة في تكوين الأمة الإسلامية

لقد أنزل الله سبحانه وتعالى القرآن الكريم وسط أعراب جفاة القلوب، انتشرت بينهم كثير من الآثام والموبقات، وكانوا يشركون بالله ويعبدون الأصنام كاللات والعزى ومناة، وقيل : إن اللات^(١) كان اسم لصنم، والعزى شجرة كانت يغطفان، كانوا يعبدونها، ومناة صنم للأوس والخزرج، نصبوه بين مكة والمدينة، وتقربوا له بالعبادة.

كما انتشرت بينهم كثير من العادات الاجتماعية^(٢) السيئة : مثل شرب الخمر، ولعب الميسر، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، وغيرها. وساد بينهم منطق الغاب حيث يستعبد القوي الضعيف، ويستذله ويصادر حرياته.

وكان أكثر الناس تضرراً من هذا الوضع الاجتماعي السيء الضعفاء : كالأطفال، والنساء، والرقيق. فمثلاً في محيط الأسرة كان بإمكان الرجل أن يبيع أو يرهن أبنائه أو زوجاته إذا دعت الحاجة إلى ذلك.

ومن الظلم الذي كان يقع على الأطفال : قتلهم لأسباب^(٣) اجتماعية عديدة : كال فقر، أو خشية العار، إذ كان بعض العرب يقتلون بناتهم خشية أن يكبرن ويقعن في الأسر بسبب الحروب التي كانت كثيراً ما تنشب بينهم.

أما المرأة فبجانب أنها كانت تُؤاد طفلة، فقد كانت تحرم من الميراث إذا كبرت، شأنها في ذلك شأن سائر الضعفاء كالأطفال والعجزة والمسنين.

بل الأنكى من ذلك أنها كانت تورث كالماتع تماماً، وكان العربي يرث زوجات أبيه كما يرث ماله. يقول في ذلك الإمام الرازي : «إن أهل الجاهلية كانوا يؤذون النساء بأنواع كثيرة من الإيذاء، ويظلمونهن بضروب من الظلم. . . كان الرجل إذا مات وكانت له زوجة جاء ابنه من غيرها أو بعض أقاربه فألقى ثوبه على المرأة وقال : «ورثت امرأته كما ورثت ماله، فصار أحق بها من سائر الناس ومن نفسها، فإن شاء

(١) مختصر / تفسير ابن كثير ٣/ ٤٠٠، ٤٠١.

(٢) تفسير الفخر الرازي : ٤/ ١٦٣ - ١٦٥.

(٣) تفسير البيضاوي : ٢/ ٣١٧.

تزوجها بغير صداق. . وإن شاء زوجها من إنسان آخر وأخذ صداقها، ولم يعطها منه شيئا»^(١)

وكانت المرأة تعاني من الظلم والاضطهاد عند الزواج، فلا يؤخذ رأيها في ذلك، ولا يؤبه به إطلاقاً، بل كانت تكره على الزواج، وكان يحق لوليها أن يأخذ مهرها، ولا تأخذ هي منه شيئا، ولم يقيد الرجل الجاهلي نفسه بعدد معين من النسوة اللاتي كان يتزوجهن.

وكانت الأمة كذلك تعاني من هذا الوضع الاجتماعي السيء، حيث كان الرجل يتزوج الأمة فتظل هي وأولادها عبيداً له، إن شاء أعتقها وأعتقهم وإن شاء لم يفعل.

وكان العرب في الجاهلية يعاملون الرقيق أيضاً معاملة قاسية، وكانوا يثقلون كاهلهم بالعمل الشاق. وكان هؤلاء العبيد في غالب الحالات أسرى للحرب التي كانت تسود المجتمع الجاهلي. وكان أسرى الحرب يتعرضون لأسوأ أنواع الاضطهاد بما في ذلك القتل أحيانا.

وتبعاً لنظام الاسترقاق انقسم المجتمع الجاهلي إلى ثلاث طبقات متميزة : طبقة الأشراف : التي كانت الطبقة الأولى من حيث النفوذ الاجتماعي، وكانت تتمتع بالسيادة على ما عداها من الطبقات، وتمتلك الثروة والسلاح وأسباب الحكم.

أما الطبقة الثانية ؛ التي تلي طبقة الأشراف سيادة ومكانة اجتماعية، فقد كانت طبقة الموالي، وهي تتكون من بعض الأفراد الذين تخلت عنهم قبائلهم لسبب أو لآخر، وهم ينتمون للطبقة الأولى بالولاء، ويتسمون بالموالي.

أما أحط الطبقات مكانة : فقد كانت طبقة العبيد (أو الرقيق)، وقد كان أفرادها محرومين من أبسط حقوق الإنسانية، وكانوا يباعون ويشترى ويسخرون في أشق الأعمال وأحطها قدراً، ولم تكن هنالك أي قوانين أو أعراف تحمي طبقة العبيد أو الرقيق، أو تمنع عنهم الظلم الذي يتعرضون له من طبقتي الأشراف والموالي.

(١) تفسير الفخر الرازي : ١٠/١٠.

ولقد كان المجتمع الجاهلي أيضا مجتمعا متنازعا^(١) انتشر فيه القتل والأخذ بالثأر، وكانت الحروب تقام بينهم لأتفه الأسباب.

ومن أمثلة ذلك حرب البسوس الشهيرة، التي نشبت بين قبيلتي بكر وتغلب، واستمرت أربعين عاما بسبب تافه يتمثل في إصابة أحدهم لناق غريمه بسهم في ضرعها.

ومن أمثلة ذلك أيضا : حرب داحس والغبراء، التي نشبت بسبب سباق الخيل حيث راح ضحيتها الآلاف من البشر.

كما اشتهر عرب الجاهلية كذلك بالتعصب القبلي والعنصرى، وكان الفرد منهم ينصر أفراد عشيرته ظالمين كانوا أم مظلومين. وكانوا يتفاخرون بأنسابهم وأحسابهم، بل كانوا يفخرون بتعديهم على الآخرين واضطهادهم واحتقارهم دون وجه حق، من ذلك ما جاء في قصيدة عمر بن كلثوم حيث قال :

ونشرب إن وردنا الماء صفوا ويشرب غيرنا كدراً وطيناً

لقد كانت هذه العادات السيئة وغيرها هي التي تسيطر على المجتمع الجاهلي عند مجيء الإسلام، فتجعل منه مجتمعا مضطربا متفككا متحللا، تسود أفراده الشهوات البهيمية، وتنتفي بينهم نوازع الخير والتقوى والصلاح.

فجاء الإسلام بمجموعة جديدة من العقائد والشرائع والقيم وأنواع الحكم والسلوك التي أراد الله سبحانه وتعالى أن تكون مدخلا لتبديل هذا المجتمع وإصلاحه، والنهوض به في فترة زمنية محدودة.

إن أول ما بدأ به الإسلام في إرساء دعائم المجتمع الإسلامي الجديد : أن جمع الناس حول عقيدة التوحيد لله سبحانه وتعالى، وألزمهم بالتخلي عن عبادة الأصنام المتعددة التي كانوا يلتفون حولها، ويتعصبون لها في جاهليتهم، فكان في هذا نواة لظهور الأمة الإسلامية الموحدة التي قادت العالم من حولها ووجهته نحو النور.

(١) فيما يختص بذلك يمكن الرجوع إلى

أ - تاريخ الجاهلية، للدكتور، عمر فروخ، دار العلم، بيروت، الطبعة الثانية عام ١٩٨٤م.

ب - تاريخ العرب في عصر الجاهلية، د - سيد عبدالعزيز سالم، دار التحفة العربية، بيروت، ١٩٧١م.

لقد نهج القرآن منهجاً يقوم على الحوار والجدل، وبحكم العقل والمنطق، لبيان فساد عباداتهم وعقائدهم، ولقد جاءت كثير من السور والآيات مؤكدة على ضرورة توحيد الله وإفراذه بالعبادة، واشتملت الآيات على إنكار عقائد الشرك وتفنيد أوهام المشركين، وبيان وجه ضلالهم، ومذكرة إياهم بدين التوحيد الذي جاء به أبوهم إبراهيم الخليل عليه السلام، قال تعالى : ﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾^(١)

قال ابن كثير في تفسيره للآية : (يقول الله تبارك وتعالى - رداً على الكفار فيما ابتدعوه وأحدثوه من الشرك بالله مخالفاً لملة إبراهيم الخليل إمام الخنفاء، فإنه جدد توحيد ربه تبارك وتعالى، فلم يدع معه غيره - قال لهم الله تعالى : ﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ : أى من ظلم نفسه بسفهه وسوء تدبيره بتركه الحق إلى الضلال)^(٢).

ولم يقتصر الإسلام على دعوة المشركين فحسب، بل دعا أهل الكتاب الذين ضلوا عن الحق أيضاً، وطلب منهم نبذ ضلالهم والرجوع إلى الحق الذي جاءهم به رسل الله وأنبيأوه، قال تعالى : ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾^(٣) قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾^(٤).

لقد قام الإسلام كذلك بتربية الفرد، وأرسى القواعد الأخلاقية الحميدة في نفسه، وحرّم الموبقات كالخمر والميسر، وحارب العادات الجاهلية السيئة، وساند الضعفاء والمظلومين، وأعطاهم حقوقهم كاملة كتحريمه لوأد البنات، (وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ

(١) سورة البقرة : آية ١٣٠

(٢) تفسير ابن كثير ١/ ١٣٠.

(٣) سورة البقرة : آية ١٣٥، ١٣٦.

سُئِلَتْ ﴿٨﴾ يَا أَيُّ ذُنُوبِكُلْتِ (١) وقتل الأولاد بصورة عامة (وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشِيَةَ إِمْلَاقٍ تَكُونُ نَزْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا) (٢) ولقد حمى الإسلام كذلك الطفل يتيمًا فقال تعالى : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ﴾ (٣).

قال الإمام الرازي : «لقد نهى الله سبحانه وتعالى في الآيات السابقة عن إتلاف النفوس، وأتبعه بالنهي عن إتلاف الأموال، لأن أئمن الأشياء بعد النفوس الأموال، وأحق الناس بالنهي عن إتلاف ماله هو اليتيم، لأنه لصغره وضعفه وكمال عجزه يعظم ضرره بإتلاف ماله، فلهذا السبب خصهم الله تعالى بالنهي عن إتلاف أموالهم» (٤).

وأعطى الإسلام المرأة حقوقها كاملة : كحق التملك، وحق الميراث، وعدم تزويجها إلا برضاها، ومنع الظلم الذي كان واقعا عليها، نتيجة لأنواع الزواج الجاهلي : كالشغار، والخذن، والمتعة، وغيرها.

جاء الإسلام كذلك بنظام اجتماعي جفف منابع الرق شيئا فشيئا، وأعطى للرقيق حقوقهم في العيش الكريم والمعاملة الحسنة، ورفع عنهم ظلم السادة، وجعل عتق الرقيق قرينة من القربات، ودعا رسول الله ﷺ السادة إلى إطعامهم مما يأكلون، وإلباسهم مما يلبسون، ونرى أن الصحابة طبقوا هذا الحديث عمليا في حياتهم، ويدلنا على ذلك : الحديث الذي أخرجه البخاري بسنده، من حديث المعروف بن سويد الأسدي قال : لَقِيتُ أَبَا ذَرٍّ بِالرَّبَذَةِ وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ وَعَلَى غُلَامِهِ حُلَّةٌ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ : إِنِّي سَابَيْتُ رَجُلًا فَعَيَّرْتُهُ بِأُمِّهِ، فَقَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ : يَا أَبَا ذَرٍّ، أَعَيَّرْتُهُ بِأُمِّهِ؟! إِنَّكَ أَمْرُؤُ فَيْكَ جَاهِلِيَّةٌ، إِخْوَانُكُمْ خَوَلُكُمْ (٥)، جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ

(١) سورة التكوين : ٨ ، ٩ .

(٢) سورة الاسراء : آية ٣١ .

(٣) سورة الاسراء : آية ٣٤ .

(٤) تفسير الفخر الرازي ٢٠ / ٢٠٤ .

(٥) الخَوْلُ : حَشَمُ الرَّجُلِ وَأَتْبَاعُهُ، وَاحِدُهُمْ خَائِلٌ، وَقَدْ يَكُونُ وَاحِدًا، وَيَقَعُ عَلَى الْعَبْدِ وَالْأَمَةِ، وَهُوَ مَأْخُذٌ مِنَ التَّخْوِيلِ أَيْ : التَّمْلِكِ . وَقِيلَ مِنَ الرَّعَايَةِ . (النهاية في غريب الحديث والأثر ٨٨ / ٢) .

أَيْدِيكُمْ، فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيَلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلَا تَكْلِفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ).^(١)

لقد جاء الإسلام أيضا بقواعد تنظم السلوك الاجتماعي بما يحقق الخير للأمة الإسلامية وللعالم بأسره.

من ذلك أن الإسلام قد استبدل معايير التفاضل بين البشر التي كانت تقوم على العصبية والقومية بمعايير جديدة، تؤكد بأن جميع البشر أصلهم واحد، ولا يتفاضلون فيما بينهم إلا بالإيمان والتقوى والصلاح، كما جاء في قوله تعالى : ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْفُورًا رَبُّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾^(٢).

وقوله تعالى : ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْتُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْتُكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفَعَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾^(٣)

ومما لا شك فيه : إن النظم والمبادئ والقيم النظرية المجردة لا تحقق الفائدة المرجوة منها إلا إذا طبقت في عالم الواقع، ونجد أن نظام الإسلام حقق نجاحا لا نظير له من ناحية تطبيقه في واقع المسلمين، ونجد أن هذا التطبيق في بعض صوره لم يأت جملة واحدة، بل تدرج الشرع بالمسلمين فيه خلال ثلاثة وعشرين عاما، وهى فترة نزول الوحي على الرسول ﷺ. فلم يكن نظام الإسلام نظاما انقلابيا فرض على الناس دفعة واحدة دون تبصر أو تدبر أو إدراك، وإنما كان يراعى مقتضى الأحوال، لذا فإنه تدرج في محاربة بعض العادات التي كانت تسود المجتمع الجاهلي قبل الإسلام، ومن أمثلة ذلك : تدرج الإسلام في تحريم الخمر.

ساق الإمام ابن كثير الأحاديث التي وردت في شأن التدرج في تحريم الخمر، فروى عن الإمام أحمد بن حنبل من حديث أبي هريرة قال : «حرمت الخمر ثلاث مرات : قدم رسول الله ﷺ المدينة وهم يشربون الخمر، ويأكلون الميسر، فسألوا

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب المعاصي من أمر الجاهلية ١٤/١ (من صحيح البخاري يشرحه فتح الباري).

(٣) سورة النساء : آية ١

(٤) سورة الحجرات : آية ١٣.

رسول الله ﷺ عنها؟ فأنزل الله تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعَةٌ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا ۚ ۱﴾ الى آخر الآية، فقال الناس : ما حرمها علينا، فإنما قال : ﴿ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعَةٌ لِلنَّاسِ ۚ ۲﴾، وكانوا يشربون الخمر، حتى كان يوما من الأيام صلى رجل من المهاجرين أم أصحابه في المغرب، فخلط في قراءته، فأنزل الله آية أغلظ منها : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ ۚ ۳﴾، فكان الناس يشربون حتى يأتي أحدهم الصلاة وهو مغبق^(٣) ثم أنزلت آية أغلظ منها : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۚ ۴﴾، قالوا : انتهينا ربنا^(٤).

وهكذا نرى أن الإسلام وحد الأمم المختلفة تحت رايته، وجعل منهم أمة واحدة، لتكون الأمة القائدة للأمم الأخرى، بسبب حملها وصيانتها للنور والحق الذي يوجه الإنسانية جميعها لما يحقق لها الخير والرفاهية في جميع نواحي الحياة : ثقافية كانت، أم سياسية، أم اجتماعية، أم اقتصادية.

خامسا : التلخيص والخاتمة

لقد ثبت لنا من الدراسة السابقة : أن اليهود يعتبرون أن التوراة التي بين أيديهم الآن كتابا مقدسا، وينسبون أصلها إلى سيدنا موسى عليه السلام، هذا على الرغم من اعترافهم بأن سند التوراة منقطع بين سيدنا موسى عليه السلام، وبين يوشيا بن آمون جامع التوراة ومؤلفها بزعمهم، مما يترتب عليه أن تكون التوراة التي

(١) سورة المائدة : ٢١٩ .

(٢) سورة النساء : ٤٣ .

(٣) الغبق والتغبق والاعتباق : شرب العتي. وانظر لسان العرب ٢٨١/١٠ .

(٤) سورة المائدة : ٩٠ .

(٥) تفسير ابن كثير : ٥٤٥/١ .

بين أيديهم ليست التوراة التي أنزلها الله سبحانه وتعالى على سيدنا موسى عليه السلام على سبيل اليقين، ومن ثم تصبح جميع العبادات والعادات والأحكام التي تبنى عليها باطلة.

كذلك نجد أن النصارى يعتبرون الأناجيل التي بين أيديهم الآن كتابا مقدسا منزلاً من الله سبحانه وتعالى، على سيدنا عيسى بن مريم عليه السلام، وهذا على الرغم من أن سند الأناجيل منقطع بين مؤلفي الأناجيل، وعيسى عليه السلام من جهة، وبينهم وبين تاريخ اعتماد الأناجيل رسمياً من جهة أخرى.

وإنه لمن الثابت تاريخياً : أن تلك الأناجيل اعتمدت في مؤتمر نيقية عام ٣٢٥م، وأن تاريخ تأليف بعضهم للأناجيل بدأ عام ٦٢م، وإلى أن ختمت - بزعم النصارى - بتأليف يوحنا لإنجيله عام ٩٣م.

كما نجد أن النصارى لجأوا لحجة واهية لإثبات أن تواتر الإنجيل غير منقطع، زاعمين أن روح القدس أيد وأهم مؤلفي الأناجيل، باعتبار أنهم كانوا من حواربي عيسى عليه السلام، على الرغم أن هؤلاء المؤلفين مجهولو الحال والعين، ولم يثبت لأحدهم لقاء سيدنا عيسى عليه السلام إطلاقاً، وكل الأقوال الواردة في شأنهم مبنية على الظن والتخمين.

ولقد ثبت فساد مقالاتهم كذلك بما رأيناه من أن تأييد روح القدس لم يقف عند حد المؤلفين، بل امتد تأييده بزعمهم إلى بابوات الكنائس وبخاصة بابوات الكنيسة الرومانية، وامتد تأييده كذلك ليشمل رؤساء الجامعات المختلفة الذين ما فتئوا يغيرون ويبدلون في الأناجيل عبر القرون، حتى عصرنا الحاضر، ويدلنا على ذلك البدع التي أدخلها أصحاب الحركات الإنسانية والتحررية في الإنجيل في الجامعات الكنسية التي عقدت في الولايات المتحدة الأمريكية في هذا العصر لتغيير بعض فقرات الإنجيل، بما يناسب آراء الشوار وأحوالهم.

ويترتب على كل ذلك أيضاً : أن الأناجيل التي بأيدي النصارى اليوم منسوبة لعيسى عليه السلام دون سند أو دليل، وعليه فلا يستطيع أحد أن يجزم بأنها إنجيل السيد المسيح، وعليه أيضاً تصبح جميع العبادات والعادات والأحكام التي انبنت عليها باطلة.

ويمكننا أن نقول - حسب ما بيناه سابقاً من أحوال أحبار اليهود ورجال

النصارى - : إن هؤلاء كان لهم أثر كبير في تحريف التوراة والإنجيل ، فلم يصونوها من عبث العابثين ، بل أدخلوا هم أنفسهم كثيرا من البدع فيهما ، حتى استحال الكتابان أقرب للوثائق الوثنية منها للكتب المقدسة .

ولقد تبين لنا ذلك من الأفكار الوثنية الكثيرة المتضمنة في هذين الكتابين ، ومن اعتمادهم للمتناقضات التي لا يمكن الجمع بينها ، كما يدلنا على ذلك تقديس اليهود للكتب التي وضعها الأخبار : كالتلمود الذي وضعوه في رتبة أعلى من رتبة التوراة .

أما القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة : فلم يتعرضا لأي تحريف أو تغيير ، لأن الله سبحانه وتعالى حفظهما . لقد كان لحفظ الكتاب والسنة بفضل الله وكرمه على البشرية ، ثم بجهود رسوله الكريم محمد ﷺ وجهود صحابته رضوان الله عليهم وتابعيهم ومن تبعهم أثر بالغ في صيانة الإسلام : عقيدة وشريعة ، ومنهجاً للحياة من التحريف والتبديل والتشويه الذي لحق بعقائد الأمم الأخرى . فقد كانت وسيلة المسلمين في حفظ القرآن التلقي من النبي ﷺ مباشرة وحفظه في الصدور عن طريق التلقين مشافهة ، وتدوينه في السطور بمنتهى الدقة كذلك ، وتواتر نقله من السلف للخلف ، واستمر حفظه وتداوله ، وتحمل ذلك وأداؤه بنفس المنهجية منذ ذلك التاريخ وإلى يومنا هذا ، وإلى ما شاء الله .

أما السنة النبوية الشريفة : فقد لقيت أيضا عناية فائقة من السلف والخلف في حفظها وتداولها وتدوينها . نرى الحديث النبوي الشريف قد جمع ودون بمنهجية دقيقة تمثلت في خلق ضوابط متعددة لضبط سنده من حيث عدد طرق هذا السند وتقسيمها تبعا لذلك إلى المتواتر والآحاد ، ثم تقسيم الحديث من حيث قوته وضعفه إلى مقبول ومردود ، فانقسم الحديث تبعا لذلك إلى مراتب تتراوح بين الصحيح ، والحسن ، والضعيف ، ثم يليها الحديث الموضوع المختلق المكذوب على النبي ﷺ ، وذلك لتحذير المسلمين من أخذ الأخبار المردودة وبيان أوجه ردها ، سواء أكان سبب ردها سقطا في سند الحديث أو طعنا في راويه .

ولقد دقق علماء المصطلح كذلك في متون الأحاديث للتأكد من سلامتها من الشذوذ والعلل التي تقدح في متونها ، مما بلغ بالحديث النبوي الشريف كذلك أعلى مراتب الوثوق والضبط .

وعليه يمكن للباحث المتحري أن يجزم بأن ما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة من عقائد وعبادات ومعاملات وتشريع هي في حقيقتها وحي من عند الله سبحانه وتعالى، ومن توجيهات رسوله الكريم ﷺ، كما أنه يستطيع أن يجزم بأن القرآن والسنة الصحيحة لم تمتد إليهما يد التحريف : بالإضافة، أو الحذف، والتشويه بعكس الكتب السماوية السابقة.

مراجع البحث

مراجع عربية

- ١ - أصول الصهيونية في الدين اليهودي - د. إسماعيل راجي الفاروقي - مطبعة البيان الغربي ١٩٦٣ - ١٩٦٤ م.
- ٢ - إظهار الحق - رحمة الله الهندي - طبع مكتبة الوحدة المغربية.
- ٣ - الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث - للحافظ ابن كثير - تحقيق أحمد محمد شاكر - طبعة محمد علي صبيح وأولاده - الطبعة الثالثة (١٣٧٠هـ - ١٩٥١م).
- ٤ - برهان يتطلب قراراً - براهين تاريخية على صحة الإيمان المسيحي، جوشي مكحول، دار الجيل للطباعة - القاهرة.
- ٥ - بنو إسرائيل في القرآن والسنة - د. محمد سيد طنطاوي - دار حراز، القاهرة - الطبعة الأولى عام ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨ م.
- ٦ - التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق - سعيد بن البطريق - طبع بيروت بمطبعة الآباء اليسوعيين بدون تاريخ.
- ٧ - تدريب الراوي شرح تقريب النووي، للحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف - المكتبة العلمية بالمدينة المنورة (الطبعة الثانية ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢).
- ٨ - تذكرة الحفاظ - أبو عبدالله شمس الدين الذهبي - مطبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد - الهند - الطبعة الثالثة ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥ م.
- ٩ - التربية الإسلامية في القرن الرابع الهجري - د. حسن عبد العال - دار الفكر العربي - ١٩٧٧ م.
- ١٠ - تفسير ابن كثير القرشي الدمشقي - مطبعة إحياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي وشركاه.
- ١١ - التفسير الكبير للإمام محمد الرازي فخر الدين، وبهامشه تفسير العلامة أبي السعود - مطبعة النهضة المصرية - الطبعة الأولى عام ١٣٥٧هـ / ١٩٣٨ م.

- ١٢ - تقريب التهذيب - أحمد بن علي بن حجر العسقلاني - تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف - دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت - لبنان - الطبعة الثالثة عام ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.
- ١٣ - التلمود تاريخه وتعاليمه، ظفر الإسلام خان - دار النفائس، بيروت الطبعة الثانية ١٩٧٢م.
- ١٤ - الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع - للحافظ الخطيب البغدادي تحقيق الدكتور محمود الطحان - طبعة مكتبة المعارف - الرياض - عام (١٤٠٣هـ - ١٩٨٣).
- ١٥ - الخطر اليهودي - محمد خليفه التونسي - منشورات دار السلاسل الكويت - الطبعة الثانية - ١٩٧٦م.
- ١٦ - الدين والمجتمع - د. إبراهيم هلال - دار النهضة العربية - القاهرة عام ١٩٧٦م.
- ١٧ - سنن ابن ماجه - الحافظ أبي عبدالله بن محمد بن يزيد القزويني - تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي - مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه.
- ١٨ - سنن أبي داود، للإمام الحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق. عليه تعليقات الشيخ أحمد سعيد علي. الطبعة الأولى عام ١٣٧١هـ/ ١٩٥٢م.
- ١٩ - سنن الترمذي بشرحه تحفة الأحوذى - لأبي المعالي عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري - تصحيح ومراجعة عبد الرحمن محمد بن عثمان / مطبعة المدني بالقاهرة - الطبعة الثانية ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.
- ٢٠ - السنة قبل التدوين - محمد عجاج الخطيب - دار الفكر، القاهرة الطبعة الثانية عام ١٣٩١هـ - ١٩٧١م.
- ٢١ - سير الأباء البطارقة - سيبولد شارل - بدون تاريخ.
- ٢٢ - صحيح مسلم بشرح النووي - المطبعة المصرية ومكتباتها - القاهرة.
- ٢٣ - علوم الحديث لابن الصلاح - تحقيق نور الدين عتر - المكتبة العلمية بالمدينة المنورة - الطبعة الثانية ١٩٧٢م.
- ٢٤ - صحيح البخاري بشرحه فتح الباري - الحافظ شهاب الدين أبي الفضل العسقلاني - المعروف بابن حجر - شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر - ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٩م.

- ٢٥ - القرآن الكريم وبهامشه تفسير ناصر الدين الألباني - مراجعة عبد العزيز سيد - مكتبة ومطبعة الحسين - القاهرة ١٩٦٤ م.
- ٢٦ - قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث - محمد جمال الدين القاسمي تحقيق وتعليق محمد بهجة البطار - دار تحقيق الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي وشركاه.
- ٢٧ - قوانين الملوك - د. عبد السميع محمد أحمد - مطبعة جامعة القاهرة ١٩٦٥ م.
- ٢٨ - الكتاب المقدس - المطبعة الكاثوليكية - بيروت ١٩٦٠ م.
- ٢٩ - الكتاب المقدس في الميزان - تأليف د. ادوارج بونج - ترجمة ألس إلياس مقار - مطبعة دار الجليل بالفجالة - القاهرة - الطبعة الأولى.
- ٣٠ - الكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي - طبع دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن - عام ١٣٥٧ هـ.
- ٣١ - الكثر المرصود في قواعد التلمود - ترجمة يوسف حنا نصر الله - بيروت الطبعة الثانية ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م.
- ٣٢ - كتاب المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين - للإمام الحافظ محمد بن حبان - تحقيق محمود إبراهيم زايد، دار الوعي بحلب - الطبعة الأولى عام ١٣٩٦ هـ.
- ٣٣ - محاضرات في النصرانية - الشيخ محمد أبوزهرة - الطبعة الثالثة - مطبعة المدني - ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٦ م.
- ٣٤ - المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل - عبد الكريم الخطيب - دار المعرفة بيروت - لبنان - الطبعة الثانية عام ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٦ م.
- ٣٥ - معرفة علوم الحديث للحاكم النيسابوي - تصحيح وتعليق د. معظم حسين - المكتب التجاري للطباعة والنشر - بيروت - بدون تاريخ.
- ٣٦ - مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة للسيوطي - المطبعة السلفية ومكتبتها، الطبعة الأولى ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٥ م.
- ٣٧ - مقارنة الأديان اليهودية - د، أحمد شلبي - مكتبة النهضة المصرية الطبعة السابعة ١٩٨٤ م.
- ٣٨ - المنهج الإسلامي في الجرح والتعديل - د. فاروق حمادة - مكتبة المعارف - الرباط - المغرب - الطبعة الأولى ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م.

- ٣٩ - نسق الأضاليل مرحلة أساسية في إزالة إسرائيل - أنيس فاخوري بيروت ١٩٧٤ م.
- ٤٠ - اليهودية والصهيونية - أحمد عبد الغفور عطار - بيروت - الطبعة الأولى ١٣٩١ هـ - ١٩٧٢ م.

- Albert Shwitzer
The Quest of the Historical Jesus New York, The Macmillan Co., 1968
- Barkely J.
The Talmud, John Murray, London, 1878.
- David Flusser
Jesus, Harder and HARder, New York 1969.
- Donald J. Kussmann
The Dictionary of Religious Terms, U.S.A.
- Ellis Rivkin
The Shaping of Jewish History, Charles Scribner's sons, New York. 1971.
- Gershem G. Scholem
Jewish Mysticism, New York 1941.
- James M. Robinsons
The Kerygma and the Historical Jesus, 1960.
- Leonardo Boff
Jesus Christ Liberator, U.S.A. 1979.
- Merrill C. Tenney
New Testament Survey, U.S.A. 1982.
- Moltmann. J.
Towards a Political Hermeneutic of the Gospel, New York Scribners, 1969.
- Rahde J.
Rediscovering the teaching of the Evangelist, Philadelphia Westminster press, 1968.
- Scholem S.
The Messianic idea in Judaism, New York, 1971.
- William J.
The Judea Christian.
- Courteny.
Heritage, U.S.A. 1970.

New Caxon Encyclopedia, International Learning System Corporation Ltd., London England 1969.

The New Encyclopaedia Britannica, U.S.A. 1974.

- | | |
|--------------------|--|
| Albert Shwitzer | The Quest of the Historical Jesus New York, The Macmillan Co., 1968 |
| Barkely J. | The Talmud, John Murray, London, 1878. |
| David Flusser | Jesus, Harder and HARder, New York 1969. |
| Donald J. Kussmann | The Dictionary of Religious Terms, U.S.A. |
| Ellis Rivkin | The Shaping of Jewish History, Charles Scribner's sons, New York, 1971. |
| Gershem G. Scholem | Jewish Mysticism, New York 1941. |
| James M. Robinsons | The Kerygma and the Historical Jesus, 1960. |
| Leonardo Boff | Jesus Christ Liberator, U.S.A. 1979. |
| Merrill C. Tenney | New Testament Survey, U.S.A. 1982. |
| Moltmann. J. | Towards a Political Hermeneutic of the Gospel, New York Scribners, 1969. |
| Rahde J. | Rediscovering the teaching of the Evangelist, Philadelphia Westminster press, 1968. |
| Sholem S. | The Messianic idea in Judaism, New York, 1971. |
| William J. | The Judea Christian. |
| Courteny. | Heritage, U.S.A. 1970. |
| | New Caxon Encyclopedia, International Learning System Corporation Ltd., London England 1969. |
| | The New Encyclopaedia Britannica, U.S.A. 1974. |

